4

علـم تـاريـخ نـزول آيـات القـــرآن الكـريم وســـوره

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٢٠٠/٥/٢٠٠٢)

٢٢٤
شكر شكري، أحمد خالد
علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم و سوره/أحمد خالد
شكري، عمران سميح نزال ـ عمان: المؤلفين، ٢٠٠٢.
(١٩٨) ص.

ر.إ.:١٢٠٠/٥/٢٠٠٢
الواصفات: /القرآن // الآيات القرآنية

● تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية

شارع الجامعة الأردنية - مقابل وزارة الزراعة
هاتف: ٥١٥٣٥٥٧ - ٥١٥٣٥٥٨ - ٥١٥٣٥٦٠ - فاكس: ٥١٦٣٩٢٥
ص.ب ٩٢٥٨٩٤ / الرمز البريدي ١١١٩٠
رقم الحساب/ ١٧٦٧١/البنك الاسلامي/الحسين

علم
تاريخ نزول آيات
القرآن الكريم وسوره

(منهج في تدبر القرآن)

إعداد

د. أحمد خالد شكري
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

أ. عمران سميح نزال
باحث في الدراسات القرآنية

تقديم و مراجعة

د. أحمد محمد مفلح القضاة
كلية الشريعة - جامعة الزرقاء الأهلية

جمعية المحافظة على القرآن الكريم

الإهـــــــــداء

إلى أستاذنا وشيخنا العلامة المؤرخ الدكتور: جميل عبد الله المصري رحمه الله، الذي كان له دور كبير في تنمية روح البحث والتعاون بيننا.

تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

(ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الّذين سبقونا بالإيمان)

سورة الحشر من الآية رقم ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

التقـــــــــديم

الحمـــد لله الذي لـــه ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، صاحب الآيات والمعجزات، أما بعد:

فـــإن علم التاريخ بصفة عامة ينطوي على جملة وافرة من الفوائد والمنافع للنوع الإنســـاني بالجمـــلة، وللأمم المتطلعة إلى النهوض والرقي بشكل أكثر تحديدا، ثم لطائفة المتخصصين من أصحاب الفكر وأرباب الأقلام ذوي المواهب والمبادئ الطامحة إلى التغيير والإصلاح والنهضة بشكل أكثر دقة وتحديدا.

وعـــلم التاريخ يتسع ليشمل من المجالات والميادين ما يصل بداية كل شيء بنهايته، ويجمع الأوائل إلى الأواخر، والمقدمات مع النتائج والخواتيم، ضمن مجموعة مـــن التصنيفات، فكل علم من العلوم والمعارف البشرية يمكن أن يحدد الباحثون له بدايـــة تاريخيـــة هي نقطة الانطلاق وبداية البحث، ثم يتم التدرج في معرفة ما قُرّر وأُصّـــل في المـــراحل اللاحقة، وذلك مفيد جدا في معرفة التدرج في تكامل مباحث العـــلوم، وفي إدراك أن المعارف الإنسانية تراكمية، يستفيد المتأخر من المتقدم ويبني عـــلى ما وصل إليه، ويتابع رفع البناء المعرفي لبنة لبنة وصولا إلى الكمال، وسعيا إلى توسيع دائرة المعرفة والإفادة من الكشوف والزيادات الجديدة.

ولـــو نظرنا إلى العلوم الإسلامية التي انبثقت من نقطة تنـــزل الوحي بكلمة (اقرأ) لوجدنا أن هذه البداية المدهشة وقعت في تاريخ معين، ومكان جغرافي معين، ثم بـــدأت تنداح كالدوائر، وتتوسع في جميع الآفاق والاتجاهات، دون أن تتلاشى، لأن المؤثـــر الدافع مستمر في العطاء، ولأن مجال هذه الدوائر يمتد على صفحة محيط البشرية زمانا ومكانا، تاريخا وجغرافية.

لا عجـــب إذاً أن نرى هذا التنوع وتلك الكثرة في العلوم التي استمدت من القـــرآن الكريم، ونبعت من فيض عطائه الثر، فكان التفسير والفقه وعلوم الحديث

والسنة والسيرة والعقيدة والثقافة، وكانت جملة علوم القرآن التي تندرج تحت مسمى علوم القرآن، مثل جمع القرآن وكتابته وتجويده وقراءاته ورسمه وضبطه وإعرابه وأمثاله وأقسامه وقصصه....

هذه العلوم التي أشبعها العلماء والباحثون دراسة وتأليفا، وقدموا فيها من الجهود ما يستعصي على الحصر، ورغم كثرة التدقيق ودقة التحقيق، بقيت منها جوانب عديدة تحتاج إلى بحوث أعمق ونظرات أدق، لا سيما وأن مناهج البحث وآفاق المعرفة والعلوم تتطور بصورة مذهلة، مما يتطلب من الباحثين المعاصرين إعادة النظر فيما سبق، والإفادة من الإمكانات والتقنيات المتاحة لتطوير البحوث وإغنائها واقتناص المزيد من الفوائد والمنافع التي يمكن أن ترفد البناء المعرفي، وتزيد فيه زيادات نوعية متميزة.

وفي علم نزول القرآن الكريم - على سبيل المثال — نجد عشرات من البحوث والرسائل والأجزاء والمؤلفات، التي بحثت مسائل هذا العلم وفصلت القول فيها، حيث بحثت في أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم، وطريقة التنزل ومجيء الوحي، وأسباب النزول، وتنجيم القرآن والحكمة من ذلك...

وهذه الجهود المباركة كانت كافية في هذا الجانب، ومعينة على إمكانية فهم نزول القرآن الكريم لكنّ جانبا مهما لم ينل من البحث إلا إشارات يسيرة، ودراسات عارضة، ربما طرقته من غير قصد إليه، وتناولت بعض مسائله في طريقها إلى مباحث ومسائل أخرى.

هذا الجانب المهم هو: (علم تاريخ النزول) الذي يهدف إلى ترتيب نزول السور والآيات القرآنية وفق تاريخ نزولها أخذا من تسلسل أحداث السيرة النبوية، واسترشادا بما يعرف من حوادث محققة التاريخ معروفة الزمان، بحيث يكون ذلك معينا على ترتيب نجوم القرآن النازلة، ليكون ذلك الترتيب سبيلا إلى معرفة الصلة

بين نوازل القرآن وبين الأحداث الواقعة آنذاك، ووسيلة إلى تدبر القرآن وفهمه وفق القالب التاريخي والجغرافي.

ولتوضيح هذه النقطة أستحضر مثلا قوله تعالى: {واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (٤٥) } الزخرف، هل يمكن أن تفهم هذه الآية الكريمة بعيداً عن حادثة الإسراء والمعراج؟ وهل أمكن للرسول صلى الله عليه وسلم أن يلتقي بالأنبياء قبل تلك الحادثة أو بعدها؟ لقد نص العلماء على أن هذه الآية الكريمة نزلت في بيت المقدس في حادثة الإسراء والمعراج، فحدّدوا لنزولها مكانا وزماناً.

وإذا صح عن ابن مسعود قوله: "والذي نفسي بيده ما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم نزلت " أمكن أن ندرك السبب في قدرة ابن مسعود على فهم القرآن وتميزه بذلك على أكثر الصحابة الكرام.

وهذا الكتاب الذي نضعه اليوم بين أيدي القراء الكرام، بعنوان: (علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره) يمثل محاولة جادةً، وفكرة ناضجة تسعى إلى معالجة آفاق هذا العلم، حيث تناولت في أربعة أبواب متتابعة متسلسلة جملة المباحث الجديرة بالدراسة مثل: أهمية علم التاريخ في القرآن، وأهمية الفهم التاريخي في الإسلام، وجهود المعاصرين في كتابة تاريخ القرآن، سواء أكانوا مسلمين أم مستشرقين، ثم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم، والأحرف السبعة، ثم مصادر هذا العلم، وترتيب النزول، ومعرفة الأوائل والأواخر من حيث النزول، والمكي والمدني وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وعلم المناسبات والتفسير والحديث والمغازي والسير والتاريخ وعلم الرجال والتراجم والأعلام، والإفادة من هذه العلوم كمصادر لعلم تاريخ القرآن الكريم.

ثم بعـد ذلـك بيان منهجية البحث في علم تاريخ نزول القرآن، من خلال استنباط المعـاني الـتاريخية من القرآن الكريم، والإفادة من منهج المحدثين ومنهج المؤرخين، واستقراء الروايات وتصنيفها والتثبت من صحتها، وتأكيد النظرة التكاملية بـين عـلوم القـرآن، والحرص على التمسك بالأمانة العلمية والشجاعة في إثبات الصواب ورفض الخطأ والرجوع إلى الحق، والحرص أيضا على البحث المتعمق لتذليل الصعوبات، ومعالجة المشكلات بشكل علمي مقبول.

ولا بـد أن أسـجل هـنا أن جمع مصادر هذا العلم وترتيبها، وبيان مدى إمدادهـا لمسـائله، بالإضافة إلى تبيان منهج البحث في هذا العلم، وجعل ذلك في فصـول واضحة ومباحث مترابطة، كل هذا من الإضافات الجديدة التي يقدمها هذا الكتاب.

لقـد جاء هذا الكتاب ثمرة جهدٍ متميز لأستاذين كريمين فاضلين، تعرفهما ميادين البحث العلمي بما لهما من أبحاث ومؤلفات قيمة.

وإن لجـنة التأليف والنشر والترجمة في جمعية المحافظة على القرآن الكريم - وهي تقدم هذا الكتاب للقراء الكرام - تأمل أن يكون فيه من النفع والفائدة والجدة والتأصـيل ما هو جدير بالعناية، محقق للغاية، وأن يكون إسهاماً جادا في سد هذه الثغرة في المكتبة الإسلامية.

نسـأل الله سبحانه أن يجزي المؤلفَيْن خير الجزاء، وأن يوفقهما للمزيد، وأن يكتب هذا العمل ثقيلا في موازينهما، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

د. أحمد محمد مفلح القضاة

كلية الشريعة - جامعة الزرقاء الأهلية

عمّان في ١٤٢٣/١/٩هـ

٢٠٠٢/٣/٢٣م

المقدمة

الحمد لله منزل القرآن على عبده منجماً في نحو ثلاث وعشرين سنة ليثبت به فؤاد رسوله الأمين وأفئدة الذين آمنوا، وليكون هدى وبشرى للمسلمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي محمد الذي قرأ القرآن على الناس على مكث كلما تنزل عليه القرآن تنزيلاً، وبعد :

فليس من السهل البحث في علم ينتمي إلى مجالٍ الظن فيه أنه اكتمل بأصوله وفروعه، هذا الكلام في العلوم بصفة عامة وهو بصفة خاصة في علوم الإسلام وبصفة أخص في مجال علوم القرآن الكريم.

فمنذ قرون وعلوم الإسلام ومنها العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم والعلوم المتعلقة بالبيان النبوي والعلوم التي تجمع بينهما في أصول الدين والعقيدة وأصول الفقه والفقه تُتناول بالطرق الأولى نفسها التي كتبت عليها وصنفت على أساسها.

وقد كان لتبني الجامعات الرسمية والكليات الشرعية التي نشأت في القرن الرابع عشر الهجري وبعده أثر في تقديم هذه العلوم بصورة جديدة، إذ تم تبني كتب هذه العلوم كما صنفت من قبل مؤلفيها الأصليين بحسب الرغبة بالانتماء والامتداد إلى مدرسة عقدية موروثة ومدرسة فقهية معينة، وتأثراً بالآخرين صَاحَبَ الانتماء والامتداد للمدارس العقدية والفقهية المتوارثة نشوء دراسات مقارنة للمدارس العقدية والمذاهب الفقهية الأخرى.

إن الأثر الذي أحدثه تبني الجامعات والكليات الشرعية للامتداد التاريخي العقدي والفقهي أدى إلى **ثورة معرفية** في طباعة الكتب التي تحتاجها الجامعات والدراسات الشرعية في بداية الأمر ثم أدى ذلك إلى دراسة وتحقيق نصوص المخطوطات الأصلية لهذه الكتب، وأيضاً كل بحسب رغبته في نشر كتب المدرسة

العقديـــة والمدرسة الفقهية اللتين يرثهما وينتمي إليهما ويسعى إلى اتصال حاضرهما بماضـــيهما وكذلك توسيع مدى انتشارهما بين المسلمين وفي العالم أجمع، ولم تكن الـــدول القائمـــة في بـــلدان المسلمين بعيدة عن تبني ذلك أو دعمه بالمال والرجال والطباعة والنشر والتوزيع.

ويمكن النظر إلى ذلك نظرة إيجابية طيبة مقابل ما يواجهه المسلمون من غزو معـــرفي خارجي ممن لا يقبل الإسلام ديناً أصلاً، ولا يعترف بالقرآن رسالة من الله تـــبارك وتعـــالى، ولا يعترف بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هدى ورحمة للعالمين.

إن الـــثورة المعـــرفية هامة جدا في تحسين أحوال أية أمة لأنها تتصل مباشرة بتغيير ما في الأنفس، قال الله تعالى في سورة الرعد: { إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّـــرُوا مَـــا بِأَنْفُسِـــهِمْ (١١)}، وتغيير ما في الأنفس لا يبدأ إلا معرفيا لأنه أساس النهضة، والثورة المعرفية التي شهدها القرن الرابع عشر الهجري وما بعده كانت هامة جـــدا في تحســـين أحوال المسلمين بتوسيع معارفهم بالقرآن الكريم وعلومه تفسيراً وتـــأويلاً وفقهاً، وبعلوم البيان النبوي سنة وحديثاً وبعلوم الإسلام إيماناً وعملاً أي عقيدة وفقهاً عملياً.

وقـــد ظهـــر أثر هذه الثورة المعرفية على العالم أجمع مما جعل البعض يصفها بالصـــحوة الإســـلامية، التي فرح لها المسلمون ونظر لها غيرهم بتخوف وتحسب، ولكـــنها على حسنها لم تتحول إلى ثورة علمية وظلت ثورة معرفية إلا في حالات فردية منتشرة في بلاد المسلمين وخارجها.

إن عـــدم ارتقـــاء الثورة المعرفية إلى ثورة علمية لا يلزم منه القول إن الثورة المعرفية كانت عاجزة بذاتها عن أن تتحول إلى ثورة علمية بل لا بد أن يكون هناك إعاقـــات حـــالت دون ذلـــك وقد يكون بعض هذه الإعاقات آتياً من جهة الثورة

المعــرفية ولكــنها ليست كلها، وقد يكون ذلك من جهة تناول أدواتها أو إعاقات خارجية عديدة.

ولكن القضية الأهم والتي نعنى بدراستها ليست فقط: لماذا لم تتحول الثورة المعرفية إلى ثورة علمية وإنما كيف تتحول الثورة المعرفية إلى ثورة علمية(١)، وللإجابة عــلى ذلك بسهولة نقول إن المعارف هي ما تحصل في الكتب من ألفاظ وكلمات وجمــل ونصوص فيها المعاني الحسية والعقلية واللغوية في شتى المجالات المعرفية، ولما كان انتشار هذه الكتب التراثية بكثرة وبخاصة في الدراسات الإسلامية وصفنا ذلك بالــثورة المعــرفية، لأنها تقدم هذه الكتب بكثرة وتوسع لم يسبق له نظير في تاريخ المسلمين.

وأمــا المقصود بالثورة العلمية فهو أن يكون للثورة المعرفية أثر واضح على جموع الناس، وذلك بأن يكون للثورة المعرفية الإسلامية من نشر الكتب وغيرها أثر في قــيم المســلمين المعنوية توحد مشاعرهم وتضبط سلوكهم وتقود أعمالهم لما فيه نفعهم وخيرهم وكرامتهم.

العــلم كصفة معنوية قد يكون وصفاً صادقاً لما في هذه الكتب من معارف صحيحة، وذلك قبل أن يتعلمها الإنسان ويصدق بالحق الذي فيها، ولكن العلم ليس ذلــك فقــط بل هو بصورة أصح وحقيقية ما في داخل الإنسان من هذه المعارف الصحيحة، أي أن العلم هو الكم والنوع المعرفي الذي يصدق به الإنسان وتطمئن له نفسه، هو الكم والنوع المعرفي من الثقافة الإسلامية التي يصدق بها المسلم، وقد سمى الله تبارك وتعالى هذه العملية العلمية بكلمة الإيمان فقال تعالى في سورة الأنفال: {

(١) لــلمزيد مــن الفرق بين المعرفة والعلم لغة انظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٩٣، تحقيق محمــد باســل، دار الكتب العلمية، بيروت، ومعرفياً كتاب المقدمة في دستور المعرفة والعلوم ــ فهم الإنسان ــ تأليف عمران سميح نزال، دار القراء بعمان.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٢) ﴾، فالإيمان هو العبادة العلمية كما العمل الصالح هو العبادة العملية.

أي أن العلم هو ما يتحصل في نفس الإنسان المسلم من معارف قرآنية وبيان نبوي تعلمه وآمن به، فعلم المسلم هو ما يؤمن به من معاني الإسلام، والأصل أن يكون العكس صحيحا وهو أن إيمان المسلم هو ما يقرأه ويصدق به، من العلم الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم وبيانه له عليه الصلاة والسلام.

فلما لم تنعكس الثورة المعرفية الواسعة التي شهدها القرن الرابع عشر الهجري وما بعده إلى ثورة علمية على جموع المسلمين إلا في حالات فردية، أدرك أن العقبة تكمن في الطريقة التي تتحول فيها المعارف إلى علم ثم إلى إيمان، ولذا لم تؤثّر المعارف الكثيرة في المسلمين بصفة جماعية وإنما أثرت في أفراد المسلمين الذين تحولت المعرفة فيهم إلى علم مصدق أي إيمان، ولذلك أيضاً لم تظهر الثورة العلمية الإيمانية على جموع المسلمين وتوقفت عند صور وحالات و مظاهر الثورة المعرفية في الغالب.

هذا الوصف إن صدق يتطلب ممن يعرفه ويعلمه ويؤمن به أن يعمل بكل جهد وجد، ويسعى في كل ميدان ومجال لسد هذه الثغرة، وهذه الدراسة محاولة بهذا الاتجاه.

أي أن العلم والعمل يتركز على تحويل الثورة المعرفية إلى ثورة علمية وذلك بتقديم المناهج المعرفية أولاً ثم بتقديم منهج فهم صحيح للإسلام مبني على أصوله الثابتة ثانياً، ثم بتقديم بعض علوم الإسلام وبالأخص بعض علوم القرآن بصورة جديدة ومنهج جديد يمثل جزءاً مهماً من منهج جديد لفهم الإسلام، يتواصل مع

العلوم الإسلامية السابقة ينتفع بها ويبني عليها ويحولها من معارف إسلامية إلى معان حسية وعقلية وبيانية وعلمية إسلامية وإيمانية.

فالخطوة الأولى في المنهج الجديد هي القراءة العلمية لأن الإنسان مخلوق قارئ وذلك بحض الفرد المسلم على القراءة من أجل العلم، والعلم من أجل الإيمان، والإيمان من أجل العمل الصالح، والعمل الصالح من أجل رضوان الله تبارك وتعالى، ثم توسيع القراءة الفردية إلى قراءة علمية جماعية منظمة.

وفي ختام هذه المقدمة نتوجه بالشكر إلى فضيلة الدكتور: أحمد محمد مفلح القضاة، المدرس في كلية الشريعة بجامعة الزرقاء الأهلية، ونائب رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ورئيس لجنة التأليف والنشر والترجمة فيها، والذي تفضل بقراءة الكتاب قبل طبعه وتقديمه للقراء، وقدم لنا عدداً من التصويبات النافعة، والملاحظات القيمة، فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

ونتوجه بعظيم الشكر إلى الأخوين الكريمين: الدكتور محمد هلال، والأستاذ رباح نزال، لما قدماه إلينا من معلومات ومناقشات نافعة أسهمت في إثراء الكتاب.

ونسأل الله العلي القدير أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، ثم نسأل إخوتنا من أهل العلم التواصي بالحق والتواصي بالصبر، عسى الله أن يشرح صدورنا لما فيه نفعنا وخيرنا وكرامتنا، ويجعل ما نحن فيه من علم و عمل سبباً لثبات أفئدتنا على الحق والفوز بالدارين، إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين .

د. أحمد خالد شكري

عمران سميح نزال

١٤٢٣/١/١هـ

٢٠٠٢/٣/١٥م

الباب الأول

علم تاريخ نزول القرآن

الفصل الأول: أهمية الفهم التاريخي في الإسلام

الفصل الثاني: أهمية علم تاريخ نزول القرآن الكريم

الفصل الثالث: التعريف بعلم تاريخ نزول القرآن الكريم

الفصل الرابع : الجهود المعاصرة لكتابة تاريخ القرآن

الفصل الخامس : جهود المستشرقين

الفصل الأول

أهمية الفهم التاريخي في الإسلام

ضم القرآن الكريم الكثير من قصص الأنبياء والأمم السابقة لحكمة أخبرنا الله تعالى عنها في القرآن الكريم فقال تعالى في سورة يوسف: { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(١١١)}، والقصص في القرآن هو التاريخ لأنه تتبع الأمر أو الشيء، وقد تحقق من القصص القرآني ما نصت عليه الآية في الغاية الأولى وهو تصديق الذي بين يديه، وأما الغاية الثانية فهو هدى أي مرشد ورحمة أي حتى يكون رحمة لقوم يسعون في الإيمان أي في طلب العلم الصادق، فالقصص القرآني درس تاريخي أراد القرآن أن يعلمه للمؤمنين في فهم دينهم وحياتهم وحركة التاريخ في الكائنات البشرية التي سبقتهم.

وكذلك جاءت في الإسلام عبادات وتكاليف شرعية مرتبطة بالزمان والمكان التاريخيين، فالحج مثلاً له زمن في التوقيت ومكان في القصد وكذلك الصلاة والصيام والزكاة بل لا تكاد تجد عبادة علمية أو عملية غير مقرونة بتاريخ.

والدرس التاريخي الأول الذي يجب أن يعلمه المسلمون هو قصة النبوة وقصة نزول القرآن على نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، لأن في هذه القصة العبرة الخاتمة لكل العبر في القصص النبوي السابق، وقصة الإسلام وقصة النبوة المحمدية هي نفسها قصة نزول القرآن منجما على محمد عليه الصلاة والسلام، ولكنه ليس للعبرة فقط وإنما هدى ورحمة لقوم يؤمنون بهذا القرآن ويؤمنون بصدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ويؤمنون بأن الإسلام رسالة الله تبارك وتعالى للبشرية جمعاء إلى يوم الدين.

وقد نبه القرآن في أكثر من موضع على المعنى التاريخي الذي يجب معرفته في فهم الآية ونذكر بعض الأمثلة القرآنية ومنها :

١ـ قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ **كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ** فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا(٩٤) } [سورة النساء].

قال القرطبي:([كذلك كنتم من قبل] أي كذلك كنتم تخفون إيمانكم عن قومكم خوفا منكم على أنفسكم حتى من الله عليكم بإعزاز الدين وغلبة المشركين، فهم الآن كذلك كل واحد منهم في قومه متربص أن يصل إليكم، فلا يصلح إذ وصل إليكم أن تقتلوه حتى تتبينوا أمره. وقال ابن زيد: المعنى كذلك كنتم كفرة)(١).

فقوله تعالى {كذلك كنتم من قبل}، أي كنتم تكتمون إسلامكم وإيمانكم في مكة قبل الهجرة، وبعد أن من الله عليكم في المدينة بالدولة والقوة والمنعة أظهرتم إيمانكم، وكذلك من قتلوه بعد أن ألقى عليهم السلام فحسبوه كافراً، فالمعنى التاريخي متضمن في الآية ويصف كيف كان حال المسلمين في مكة أيضاً.

٢ ـ قوله تعالى في سورة النساء: { وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧) }.

قال ابن كثير:(قال ابن أبي حاتم: قرأت على محمد بن عبدالله بن عبدالحكم أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله ويستفتونك في

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ٣ / ٢٩٢ ، طبعة دار الفكر بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب الآية قالت: والذي ذكر الله أنه يتلى عليه في الكتاب. الآية الأولى التي قال الله {وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء}...) (١).

فهذا تذكير من القرآن بضرورة معرفة السابق واللاحق من آيات القرآن الكريم في السورة الواحدة وفي غيرها، وهذا لا يتم من غير معرفة بتاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم، لا بمعنى معرفة التاريخ اليومي لنزول الآية فقط، بل من اجل معرفة نمو وتوسع التشريع في المسألة المعينة، فقد نزلت أحكام النساء في أول السورة ثم تعاقبت الأسئلة عليها فنزلت الأجوبة في آيات متأخرة في تاريخ النزول عن الآيات السابقة، فيها أحكام جديدة قد تكون مبينة أو ناسخة أو مقيدة لما نزل قبلها.

وفي تتبع كلمات الأمكنة وكلمات الأزمنة في القرآن الكريم فوائد كثيرة كفيلة أن تفرد في بحث مستقل لأهميتها، من مثل كلمة اليوم في قوله تعالى :{ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . . . . (٣)} [سورة المائدة].

قال الطبري:(حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله: {اليوم أكملت لكم دينكم} **هذا نزل يوم عرفة، فلم** ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله صلي الله عليه وسلم فمات، فقالت أسماء بنت عميس: حججت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم تلك الحجة، فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل صلي الله عليه وسلم على الراحلة، فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن، فبركت، فأتيته فسجيت عليه برداء كان علي.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ١/ ٥٧٤، طبعة دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م. وانظر صحيح البخاري، رقم (٢٣١٤) ومسلم : صحيح مسلم، كتاب التفسير، رقم (٥٣٣٥).

٨٧١١ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: مكث النبي صلي الله عليه وسلم بعد ما نزلت هذه الآية **إحدى وثمانين ليلة**، قوله: {اليوم أكملت لكم دينكم}

٨٧١٢ - حدثنا سفيان، قال: ثنا ابن فضيل، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، قال: **لما نزلت**: {اليوم أكملت لكم دينكم} **وذلك يوم الحج الأكبر**، بكى عمر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ما يبكيك"؟ قال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: "صدقت"...

وقال آخرون: معنى ذلك: {اليوم أكملت لكم دينكم} حجكم، فأفردتم بالبلد الحرام تحجونه أنتم أيها المؤمنون دون المشركين لا يخالطكم في حجكم مشرك...

حدثنا أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا قيس، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير: {اليوم أكملت لكم دينكم} قال: **تمام الحج، ونفي المشركين عن البيت**.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به، أنه أكمل لهم **يوم أنزل هذه الآية** على نبيه دينهم، بإفرادهم بالبلد الحرام، وإجلائه عنه المشركين، حتى حجه المسلمون دونهم، لا يخالطهم المشركون.

فأما الفرائض والأحكام، فإنه قد اختلف فيها، هل كانت أكملت ذلك اليوم أم لا ؟ فروي عن ابن عباس والسدي ما ذكرنا عنهما قبل.

وروى عن البراء بن عازب أن آخر آية نزلت من القرآن: {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة} ولا يدفع ذو علم أن الوحي لم ينقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض، بل كان الوحي قبل وفاته أكثر ما كان تتابعا. فإذ كان ذلك كذلك، وكان قوله: {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة} **آخرها نزولا**

وكان ذلك من الأحكام والفرائض، كان معلوما أن معنى قوله: {اليوم أكملت لكم دينكم} على خلاف الوجه الذي تأوله من تأوله، أعني: كمال العبادات والأحكام والفرائض.

فـإن قال قائل: فما حمل قول من قال: قد نزل بعد ذلك فرض أولى من قول من قال: لم ينـزل؟ قيل لأن الذي قال لم ينـزل، مخبر أنه لا يعلم نزول فرض، والنفي لا يكـون شهادة، والشهادة قول من قال: نزل، وغير جائز دفع خبر الصادق فيما أمكن أن يكون فيه صادقا.)[١].

نلاحظ أن الرأي الذي رجحه الطبري رحمه الله يعتمد على المعنى السياسي الذي آلـت إليـه الأحـوال السياسية عند نزول هذه الآية وهو الموقف من أهل الشرك، فالتاريخ في هذا التأويل ركن مهم.

وفي السـنة النبوية تنبيه على أهمية معرفة تواريخ النـزول للآيات القرآنية ولبيانه النبوي عليه السلام، سنأتي على أمثلة منه إن شاء الله، وقد اعتنى العلماء بنوع واحد منه هو علم أسباب ورود الأحاديث.

وكذلـك كـان اهتمام الصحابة رضي الله عنهم به منذ أيامهم الأولى، من مثل بكاء عمر بن الخطاب عند نزول الآية {اليوم أكملت لكم دينكم} من سورة المائدة كما مر سابقاً ومعرفته بزمان مكان نزولها.

وكذلـك أخرج البخاري قول ابن مسعود: (والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سـورة مـن كتاب الله إلا أنا أعلم **أين نزلت**، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم **فيمن نزلت**، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه) [٢]،

(١) الطـبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤ / ١٠٦ ، تحقيق صدقي جميل العطار، نشر دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.

(٢) البخاري : صحيح البخاري، كتاب التفسير.

إن العـــلم بمكـــان النـــزول وفيمن نزلت هما من أهم روافد علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم.

وأخـــرج عـــبد الـــرزاق في تفسيره قول علي بن أبي طالب:(سلوني، فوالله لا تســـألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل) [١]، وهذا القول يتحدث عن زمن ومكان وتوقيت النـــزول وكلها روافد تاريخية هامة في هذا العلم.

وقـــد رويـــت أخـــبار مشابهة عن غير واحد من الصحابة فقد روي عن أبي بن كعـــب، وجابـــر بن عبدالله، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير رضـــي الله عنهم روايات عديدة في تحديد السور والآيات المكية والمدنية، أخرجها جمع من أهل العلم في مؤلفاتهم [٢].

وكلها تنبه على أهمية معرفة الزمان والمكان وفيمن وفيما نزلت الآيات ومن المعني بالآيـــات الكـــريمة، فليس المقصود هنا حصر المعاني التاريخية المرتبطة بتاريخ نزول القـــرآن الكـــريم في مكة والمدينة، وإنما ضرب الأمثلة على المعاني التاريخية التي قصد القرآن التنبيه عليها، وقد بدأت بعد عصر الصحابة مرحلة تأليف الكتب المختصة في

---

(١) تفسير عبدالرزاق ٣/ ٢٤١.

(٢) عبدالرزاق حسين أحمد: المكي والمدني في القرآن ١/ ٦١، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

علـــم تـــرتيب التنـــزيل والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ وأسباب النـــزول وعلم المناسبة وغيرها سنأتي على ذكرها لاحقاً إن شاء الله.

الفصل الثاني

أهمية علم تاريخ نزول القرآن الكريم

اهـــتم المســـلمون بالقـــرآن الكريم كثيراً، كيف لا وهو كلام الله تبارك وتعالى المنـــزل على رسول الله وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، بلسان عربي مبين، رحمـــة للعالمين، وقد كان هذا الاهتمام كبيرا لدرجة أننا ونحن اليوم في مطلع القرن الخـــامس عشـــر الهجري، لا نستطيع حصر عدد أو أسماء الكتب التي صنفت عن القرآن في القرون السابقة، بله إمكانية اقتنائها وجمعها.

ولم يكـــن اهـــتمام المسلمين في مجال واحد، بل تنوع وتعدد بقدر تعدد جهود العلماء، وتنوع أفهامهم واجتهاداتهم واختصاصاتهم، فقد صنف المتقدمون في تفسير القران وإعرابه وأساليبه وإعجازه وأحكامه كتبا كثيرة، كما صنفوا معاجم لغوية في مفـــرداته وألفاظه، وكتباً في معانيه وبلاغته وبيانه، وكان فيما صنفوا كتباً في علومه وتاريخه، وبالرغم من قلة ما صنف في علومه، فقد كان ما صنف في تاريخه أقل إن لم يكن نادرا أو مفقوداً.

وقـــد لمـــس قلة ما كتب في علوم القرآن السيوطي وهو من أكثر العلماء اطلاعا وكـــتابة وتصنيفا في شتى أنواع العلوم وخاصة علوم القرآن فقال: (ولقد كنت في زمـــن الطلب أتعجب من المتقدمين، إذ لم يدونوا كتابا في أنواع علوم القران، كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث)[1].

وقـــد ســـبقه إلى هذا الرأي الزركشي حيث قال: (ولما كانت علوم القرآن لا تنحصـــر، ومعانيـــه لا تستقصى، وجبت العناية بالقدر الممكن، ومما فات المتقدمين

[1] السـيوطي : جـلال الديـن عبدالرحمن السيوطي (٩١١ هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، ١ / ٣.

وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث، فاستخرت الله تعالى وله الحمد في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه، وخاضوا في نكته وعيونه، وضمنته من المعاني الأنيقة، والحكم الرشيقة، ما يهز القلوب طربا ويبهر العقول عجبا، ليكون مفتاحا لأبوابه، وعنوانا على كتابه، معينا للمفسر على حقائقه، ومطلعا على بعض أسراره ودقائقه، والله المخلص المعين، وعليه أتوكل، وبه أستعين، وسميته البرهان في علوم القرآن) (١)، وقد ذكر الزركشي بعد ذلك فهرست أنواع علوم القرآن التي ستكون مواضيع بحثه في كتابه البرهان، وعددها سبعة وأربعون نوعا، منها الأنواع التالية: معرفة سبب النزول، ومعرفة المناسبات بين الآيات وفي خواتم السور و في معرفة المكي والمدني وفي معرفة أول ما نزل، وفي بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة، وبعد أن عدد الزركشي السبعة والأربعين نوعا، والتي ذكرنا بعضا منها قال: (واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه، لاستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره، ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله، والرمز إلى بعض فصوله) (٢)، والأنواع التي ذكرناها وغيرها من مباحث تاريخ القرآن، كما سيأتي بيانه إن شاء الله عند الكلام على علم تاريخ القرآن، ولكن وقبل البدء بتعريف علم تاريخ نزول القران وذكر فوائده، نلاحظ التقارب والتداخل بين علوم القرآن وعلوم التفسير، وقد مر معنا ما قاله الزركشي إن علوم القرآن مفتاح لأبوابه، وعنوان على كتابه، ومعين للمفسر على حقائقه، ومطلع على بعض أسراره ودقائقه، فهي علوم ومعارف معينة على فهمه وتفسيره، وليست هي القرآن ولا فهمه، أما علم التفسير فقد قال

---

(١) الزركشي : بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي (٧٩٤ هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٢ م، ١ / ٩.

(٢) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ١ / ١٢.

عـــنه الزركشي: (التفسير : علم يعرف به فهم كتاب الله المنـــزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من عـــلم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أســـباب الـــنـــزول والناسخ والمنسوخ) [١]، أي أن علم التفسير يحتاج إلى علوم القـــرآن مـــن مثل أسباب النـــزول والناسخ والمنسوخ، وهذا التداخل بين العلمين ظاهـــر وبيِّـــن للباحثين، والملاحظ أن كتاب البرهان تعرض لذكر علم تاريخ نزول القرآن، وهو العلم الذي نخصه بالدراسة والبحث في هذا الكتاب.

إن عـــلم تاريخ نزول القرآن من العلوم التي لم تأخذ من المتقدمين حظها الذي تستحقه، فتناثرت بعض أبحاثه بين العلوم الكثيرة، وتداخلت بعض مباحثه بين كتب عـــلوم القرآن والتفسير، والحديث النبوي والسيرة النبوية والتاريخ وغيرها، مما جعل التصنيف فيه صعبا وشاقا أكثر من غيره من العلوم، ولكن تصنيف المتقدمين في علوم القـــرآن وإن كـــان قـــليلا، فقد فتح الباب للكثير من الدراسات التي تعنى بالقرآن الكريم.

ونستبق بعض ما حقه التأخير ونقول إن الذي يقصده علم تاريخ القرآن أكثر من غـــيره مـــن العلوم، هو اعتبار تراكيبه وما بينها من روابط بحسب نزوله، وهذا ما سوف ندرسه في هذا الكتاب، فالقرآن قد نزل على مدى نحو ثلاثة وعشرين عاما، وأشارت بعض آياته إلى الحكمة من نزوله مفرقا على امتداد هذه الحقبة، قال الله عز وجل :

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢)} [سورة الفرقان].

---

(١) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ١/ ١٣.

فقد كان مطلب الذين كفروا نزول القرآن جملة واحدة، ولكن الله عز وجل أراد أن يكـــون مع نزول القران المتواصل تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم أولا، وأراد أن يكـــون هذا التثبيت مصاحبا لتتابع نزوله وترتيله ثانيا، فالترتيل متزامن مع التثبيت، لأن فيه معاني التثبيت.

وحكمـــة أخـــرى من تفريق النـــزول، تتعلق بهداية الناس وإرشادهم، قال الله تعالى: {وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تنـــزيلاً (١٠٦)}[سورة الإسراء].

فالأمـــر متعـــلق بالرسول من جهة، وبالناس من جهة اخرى، وقد كان أثر هذا النـــزول على الرسول معلوما من تبليغه الرسالة وأدائه الأمانة وشهادته على الناس، عـــلى خـــير ما أدى رسول لأمته، وأما أثره على الناس، فقد علمنا أثره على بعض الـــناس الذين آمنوا به فأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، فرضي الله عنهم ورضـــوا عـــنه، مصـــداقا لقوله تعالى : { وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا ينـــزل قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) }[سورة النحل].

في الآية الكريمة رد على الذين يعترضون على تبديل الآيات، الأمر الذي يستلزمه تنـــزيل القرآن منجما وعلى مكث، فكان إذا نزلت الآية وضعت بين آيات أخر، إن لم تكن الآية مثلا مطلع سورة أو نزلت مع آيات أخر، وعندما توضع الآية بين آيات أخر، فإنه كان يتبدل موضع الآية السابقة بعد نزول الآية الجديدة، والله أعلم بمـــا ينـــزل لما تقتضيه حكمة التنـــزيل بما نصت عليه الآية التالية، {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُـــدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }، فليس أمر هذا التبديل في المواضع من اجتهاد الرسول

صلى الله عليه وسلم، وإنما بما ينــزل به روح القدس جبريل عليه السلام من ربك، من أمر أن يضع الآية في مكان كذا بعد الآية كذا (١).

وليس المقصود بالتبديل في هذه الآية مسألة النسخ للأحكام الشرعية العملية التي ثبت حكمها في سورة البقرة {مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا (١٠٦)}، لأن تاريخ نزول آية التبديل أي آية سورة النحل في مكة ولم يكن في مكة نسخ للأحكام الفقهية العملية، والله أعلم.

وأمــا سبب ذلك وهو موضع استدلالنا بهذه الآيات الكريمة، فهو ليثبت الذين آمــنوا وهدى وبشرى للمسلمين، إذن تبديل الآية مكان آية أخرى من أجل تثبيت الذين آمنوا، وهذا الذي تستهدفه القراءة التنــزيلية والتاريخية: أن تثبت الذين آمنوا في كــل زمان ومكان والله أعلم بما ينــزل، لأن القرآن رسالة الله إلى الناس كافة، ومــا زال هذا الخطاب إلى الناس كافة إلى يوم الدين، فهل من أثر يمكن أن يحققه في الــناس اليــوم، إن هم قرؤوه على مكث بحسب ما كان نزوله وخطابه إلى الناس، ورتــلوه ترتيلا، أي رتبوا معانيه ترتيبا فيه الحكمة والتفصيل، مصداقا لقوله تعالى في فاتحة سورة هود: { الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}

(١) سيأتي مزيد بيان لهذا الأمر في الباب الثاني.

الفصل الثالث

التعريف بعلم تاريخ نزول القرآن الكريم

المعنى المقصود من كلمة العلم هنا الإدراك العلمي للمعارف العلمية، والمعارف العلمية معارف صادقة عن الأشياء ومعقولها وبيانها، وحيث إن مادة الإسلام المعرفية نزلت باللغة العربية وكذلك أحداثها رويت بالكلام العربي فإن البيان الذي ندرس فيه هذا العلم هو البيان العربي بكل ألفاظه ومعانيه وأساليبه ومقاصده، وإذا أدركنا المقاصد حقيقة كان إدراكنا لها إدراكا علميا وتفكيرا علميا (١).

وأما كلمة التاريخ فمعناها الإعلام بالوقت، وهو في الاصطلاح علم يدرس وقائع الزمان الماضية وأعمال البشر فيها علميا ومادياً.

وقيل: هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم (٢).

وفي بحثنا العلم بالوقائع والأحداث التي تزامنت مع عهد النبوة ونزول القرآن وهي في ثلاث وعشرين سنة تقريبا[٣]، فالتاريخ يدرس هذه المرحلة تحديدا، أي المدة الزمنية التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم وهو نبي ينزل القرآن عليه من الله تعالى عن طريق الوحي.

ومعنى كلمة النزول ما أنزله الله تبارك وتعالى في هذه المدة الزمنية من آيات وسور قرآنية فليس موضوع البحث تاريخ القرآن وإنما تاريخ نزوله وهو متزامن مع حياة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) للمزيد من التوضيح انظر كتاب فهم الإنسان، باب النظرية العلمية.

(٢) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ١٩.

[٣] مدة نزول القرآن الكريم تحديدا هي اثنتان وعشرون سنة وخمسة أشهر ونصف شهر (انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد أبو شهبة، ص ٥٥).

وقــد يكون تاريخ نزول آية في غير تاريخ نزول سورتها ولذلك نبحث عن تــاريخ نــزول السورة إجمالا ثم إذا وجد تاريخ خاص لنــزول آية مثلا غير تاريخ نزول سورتها تبحث منفردة بأدلتها النقلية والعقلية.

وقد يبدو هذا العلم لبعض القارئين جديدا، ولعل الأمر الجديد فيه هو طريقة عرضه، ولفت النظر لأهميته وتبويب مسائله على نحو جديد.

أما حقيقة هذا العلم ومضمونه فقديم، وما قدمناه وما سنذكره من نصوص متعددة تدل على اهتمام عدد من العلماء به.

إن لعلم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم أهمية كبيرة، فهو يمثل منهجا في تدبــر القرآن، وفي آيات الكتاب الكريم ما يدل على وجود هذا العلم ومقاصده، قال تعالى في سورة الإسراء : { وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تنــزيلاً (١٠٦) }، فوجود هذا المنهج التاريخي ثابت بهذا التوجيه من الله تعالى، و هــو أن القرآن نزل مفرقا على تواريخ مختلفة في مكة والمدينة والسبب في ذلك حتى يقــرأه الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس على مكث، وأما المقصود من ذلك فقــال تعــالى في سورة الفرقان: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِــدَةً كَذَلِــكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِــالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) }، وقوله ورتلناه ترتيلاً أي رتبناه ترتيبا، قال مجاهد الترتيل : الترسل، قال: ورتلناه ترتيلاً بعضه على أثر بعض [١]، وأصله في اللغة حسن تناسق الشيء [٢]، والغاية منه تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ١١ / ٢٦٥.

(٢) الفيروزآبــادي: مجد الدين محمد بن يعقوب ،القاموس المحيط ٣/٥٥٩، دار إحياء التراث بيروت، الطــبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م. وانظر: المفردات للراغب الأصفهاني ١٩٣. وعمدة الحفاظ للسمين ٢ / ٧٦.

إذن علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم يدرس تاريخ نزول الآية أي زمن نزولها ومكان نزولها وفيمن نزلت من الناس وفيما نزلت من القصص والأحداث وسبب نزولها وما نزل قبلها وما نزل بعدها في موضوعها لمعرفة المعنى التثبيتي الذي أحدثته الآية يوم تاريخ نزولها على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى اتباعه من المسلمين والمؤمنين وعلى غيرهم من المشركين وأهل الكتاب.

ومن ذلك نجد أن علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم هو العلم الذي يدرس في الحقيقة تاريخ التشريع الإسلامي، لأن تاريخ التشريع هو تاريخ نزول الأحكام التشريعية في مكة والمدينة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وانه ينتهي مع انتهاء زمن نزول القرآن الكريم، وان ما جاء بعده هو تاريخ الفقه الإسلامي والأصح تسميته بتاريخ فقه المسلمين أي أن تاريخ التشريع الإسلامي محصور في مرحلة نزول القرآن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومراحل تطوره بحسب مراحل الدعوة ونموها معنويا وماديا، وأما تاريخ الفقه الإسلامي أو تاريخ فقه المسلمين فهو يبدأ من لحظة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه، حيث بدأ اجتهاد دولة المؤمنين في مسائل جوهرية في تاريخ المسلمين مثل جواز وفاة الرسول ووراثته صلى الله عليه وسلم وموقف أبي بكر الصديق في ذلك معروف، وكذلك مسألة خلافة الرسول في السقيفة، وما اجتهد فيه بعد دفن النبي صلى الله عليه وسلم من المسائل إلى يوم الدين.

فالأصل أن يكون تاريخ التشريع الإسلامي صورة مطابقة لعلم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم وبذلك يصبح علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم المصدر الرئيس لتاريخ التشريع الإسلامي وكلاهما أساس المعارف العلمية والعملية التي يحتاجها العالم المسلم المجتهد حتى يدرك الإسلام إدراكا علميا ويكون تفكيره تفكيرا علميا، وذلك بفهم معاني القرآن كما أنزلت وسبب وحكمة نزولها

والمقاصد التي سعى القرآن إلى تحقيقها في مرحلة التشريع، والقياس عليها لتحقيق مقاصد الشريعة وليس أشكالها ورسومها فقط.

وقد يقول بعضهم إن القرآن فوق التاريخ والزمان والمكان وإنه لم يأت لزمن معين أو مكان بعينه أو جيل واحد، وإنما هو خطاب الله للناس كافة إلى يوم الدين فكيف نحصر فهمه بفهم جيل واحد ؟

والجواب أن هذا السؤال ليس اعتراضا على المنهاج الذي نقدمه، فهذا الكتاب يقدم منهجاً في تدبر القرآن يقوم على محاولة العلم بتاريخ نزول الآيات، ولا يحصر فهم الآية بوجه واحد أو أمر ما، بل هو في الحقيقة يفتح آفاقا جديدة في فهم الآيات وتدبرها.

إن هذا الكتاب يقدم **منهجاً تاريخياً** لفهم القرآن وليس **فقهاً تاريخياً** لفهم القرآن، والفارق بينهما كبير، المنهج التاريخي الذي نقدمه هو المنهج التاريخي القرآني وكما قلنا هذا محصور بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والفقه الذي فيه هو الفقه والبيان النبوي بأقواله وأفعاله وإقراره عليه الصلاة والسلام، وكل ذلك حجج شرعية واجبة الاتباع وأدلة تستنبط منها العقائد والأحكام الشرعية.

إن الظن بأن معرفة هذا العلم تغلق على المسلم أبواب الفهم وتحجب عنه مقاصد الشرع، ظن غير صحيح، حيث إن الله تبارك وتعالى قد جعل العبادة من الناس نوعين هما :

عبادة علمية وهي عبادة تدبر وفهم وفقه ومعرفة لكلام الله تبارك وتعالى، ثم فقه للسنة وهي البيان النبوي لما أنزله الله في الكتاب.

وعبادة عملية مادية يقوم بها كل مسلم مكلف بها من صلاة وزكاة وصوم وحج وغيرها.

صحيح أنه يمكن أن يفهم المسلم النصوص القرآنية بمعزل عن ذلك التاريخ والزمان والمكان الذي نزل فيه القرآن أول مرة، ولكن ذلك لن يكون علما وافيا حتى يعلم الأصل الذي جاء النص القرآني لعلاجه أو القضية القرآنية التي جاء الوحي جواباً عليها.

فالمنهج التاريخي القرآني يكشف عن علة التشريع ومقاصده، علة التشريع هي أسباب النزول ومناسباته والمقاصد هي أسباب الغاية والعناية،وكل جيل من المسلمين مطالب بالعبادة العلمية والعملية، وعبادته العلمية مقدمة على عبادته العملية لأن الإيمان مقدم على العمل الصالح في كل الآيات القرآنية، الإيمان هو العبادة العلمية وموضوعها دراسة القرآن وتدبر كلماته بألفاظها ومعانيها، وآياته بأسبابها ومقاصدها، وسوره بوحدة موضوعها.

الفهم التاريخي للإسلام: هو فهم كل جيل من أجيال المسلمين بعد النبوة إلى يوم الدين لما أنزله الله تبارك وتعالى على الرسول، ومادته اجتهادات (الأئمة) والعلماء والفقهاء وأحكامهم، لذا فإن الفقه التاريخي ليس وحيا من عند الله تبارك وتعالى، وإنما هو أفهام بشرية غير معصومة، لم يوجب الشرع اتباعها وإنما اتباع الوحي المترل قال تعالى في سورة الأعراف: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أولِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ(٣) }، ولم يأمر الله عز وجل بطاعتها وإنما قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأوِيلاً (٥٩)} [سورة النساء].

وكل جيل مطالب بعبادة الله تعالى علميا أي أن يكون له عبادته العلمية التي هي إيمانه كما هو مطالب بالعبادة العملية التي هي عمله الصالح أفرادا أو جماعة، وكما لا يُسقِطُ العبادةَ العملية من صلاة وصيام وحج وزكاة وغيرها جيلٌ عن جيل

آخر فكذلك لا يُسقِطُ العبادةَ العلمية جيل عن جيل آخر ، فلا يقال إن جيلا ما من أجيال المسلمين قد عبد الله تعالى عبادة علمية واستنبط كل العقائد الصحيحة والفقه القويم وما على الأجيال اللاحقة إلا تقليده واتباعه فهذا خلاف معنى العبادة في القرآن الكريم لأنها واجبة على كل مسلم وجيل، قال تعالى في سورة البقرة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) }، وقال تعالى في سورة النساء: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) }، ووجه الدلالة أن العبادة اسم لكل طريق يتقرب به إلى الله تعالى، وأهمها معرفة البرهان الذي جاء الناس من ربهم والنور الذي أنزل وهو العلم بالقرآن والعمل به.

إن علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم لا يقصد حصر فهم آيات القرآن بالتاريخ الزماني و المكاني الذي نزل به القرآن، بل يسعى إلى اعتماد هذا العلم قاعدة ينطلق منها إلى فهم أدق وأوسع وأشمل، وذلك بتحقيق معرفة حكمة نزول هذه الآيات بسبب حدث معين أو شخص أو أشخاص معينين، حيث إن العلم بمن نزل فيهم القرآن أو بسببهم أو بسبب علاقة الإسلام بهم يعين قارئ القرآن على تدبره وفهمه وتفسيره.

إن حصر منهج فهم القرآن الكريم وتفسير كلام الله رب العالمين معزولا عن ظروفه التاريخية التي نزل بها لن يؤدي إلى اعتماد الصورة القرآنية التي تقرب العالم من مراد الله تعالى، وإن الفهم المجرد عن الزمان والمكان التاريخي لآيات القرآن الكريم يعزل هذا الفهم عن جوانب مضيئة تعين العالم على تدبر كلام الله تبارك وتعالى.

ويجب الاعتقاد أنه لحكمة يعلمها الله تبارك وتعالى اختار ذلك التاريخ وذلك الزمان وذلك المكان المكي والمدني ليكون مثالا لكل معاني الإسلام ومعيارا لكل علاقات المسلمين ويكون أنموذجا يقتدى به في العلاقة مع التنزيل وأحداثه، فلم

يكـــن اخـــتيار ذلك التاريخ لغير حكمة أو لحكمة مجهولة، بل لحكمة يعلمها رب العالمين، ثم يعلمها من وفقه الله تبارك وتعالى لقراءتها ودراستها وتدبرها.

هـــذا العـــلم لم يأخذ حقه من جهود العلماء السابقين تصنيفا واستقلالا في الدراســـة والـــتحقيق، لظن البعض منهم أنه علم أقرب للتاريخ منه للفقه والعقيدة والإســـلام، أي لظنهم انه علم لذاته فيه المتعة المعرفية دون الفائدة المعرفية التي تلزم المسلم لفهم دينه.

لـــذا نقول إن تاريخ نزول القرآن ليس دراسة تاريخية محضة أي بلا غاية أو هـــدف يحـــتاجه المسلم في عبادته العلمية والعملية، وإذا أمكن المسلم المقتصر على العبادة العملية أن يقرأ القرآن ويعرف أحكام الإسلام التي يحتاجها في عبادته اليومية مـــن غـــير التوسع في العبادة العلمية وتم له ذلك من غير معرفة تاريخ النـــزول فانه يـــتعذر ذلك على أهل العبادة العلمية والعملية أي على طلبة العلم والعلماء وبخاصة المجتهدين منهم والمتدبرين لآيات القرآن الكريم.

إن إطـــلاق النص القرآني من تاريخ نزوله زمانا ومكانا إن لم يحرف الفهم والاســـتنباط عن الصواب فانه لن يؤدي إلى فهم واستنباط افضل مما لو أعطى المنهج الـــتاريخي(١) حقـــه والمـــنهج المجرد حقه، أي أن دعوتنا إلى تفضيل المنهج التاريخي التثبيتي، أي المنهج التعبدي في العلم والعمل وهو نفسه المنهج القرآني في فهم القرآن الكريم، وهو نفسه أيضا منهج التشريع الإسلامي، فمن ينكر أن الله تبارك وتعالى قد أنـــزل القرآن منجما على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في نحو ثلاث وعشرين سنة؟

---

(١) قد يستعمل بعض الباحثين هذا المصطلح لمعنى آخر، وهو تناول القضايا التاريخية في القرآن الكريم مثل: قصص الأنبياء والأمم السابقة، ثم تحليلها ودراستها وفق نظريات أو أسس تاريخية معينة..

إن إغفـــال المـــنهج التاريخي لفهم القرآن الكريم هو إغفال لمعاني وحكمة نزول القــرآن منجما مفرقا، بينما الأخذ بالمنهج التاريخي يفرض علينا الأخذ بكل أركان الفهــم الصـــحيح للعــبادة العلمية والعملية، أي أن تسمية المنهج بالتاريخي لا تعني حصره بتاريخ وزمان ومكان معين إطلاقا، وانما المعنى أن يفهم على انه منهج علمي دل القرآن عليه، فالمنهج التاريخي ليس تاريخا فقط وليس فهما تاريخيا وإنما منهج فهم يعتمد التاريخ الزماني والمكاني أساسا لفهم آيات القرآن الكريم ثم ينطلق الفهم على أساسه لتحقيق مراد الله تبارك وتعالى بالمعاني التي تحققت أول مرة وليس بالأحداث والأشخاص إطلاقا.

هـــذه القراءة التنـــزيلية والتنجيمية والتثبيتية، هي قراءة علمية تعود على القارئ بالإيمان الصادق، والعمل الصالح.

فالقراءة التنـــزيلية مهمتها التثبيت في الإيمان والعمل، ونعلم ان الكلمة التي تجمع الإيمان والعمل في مصطلح واحد هي كلمة الحكمة، لأن الحكمة هي تأدية الأعمال بالعلم، فتكون القراءة التنـــزيلية التثبيتية قراءة حكيمة، ويقرب من كلمة الحكمة في الـــلغة العـــربية كـــلمة السياسة، فالسياسة في اللغة العربية القيـــام على الأمور بما يصـــلحها[1]، وهـــو لا يكون إلا باقتران العلم بالعمل، أي العمل بعلم، وعليه فان القـــراءة التنـــزيـــلية التثبيتية قراءة سياسية، وهذا ما يفسر الطبيعة التي انتهت إليها رســـالة القـــرآن والدعـــوة المحمدية، وما أحدثته من تغيير سياسي في حياة العرب والجزيـــرة العربية والناس والعالم بأكمله، فالقراءة السياسية الهادفة تحتاج إلى القراءة التنـــزيلية والتنجيمية والتثبيتية في العلم والعمل، التثبيت في الإيمان والعمل الصالح.

ونســـتطيع القول إن هذا المنهج هو المنهج الذي سار عليه الرسول صلى الله عليه وســـلم في تعليم المسلمين الأوائل القرآن الكريم كما قال أبو عبد الرحمن السلمي :

(١) ابن منظور: لسان العرب ٦ / ١٠٨.

حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ــ كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما ــ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا العلم والعمل جميعا [١]، بل إن تعليم القــرآن في العهــد النــبوي لم يتم إلا بهذه الطريقة لأن التعليم كان لما ينــزل من القــرآن، فكلما نزلت آية أو خمس آيات أو عشر آيات علم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه هذه الآيات بما فيها من علم وما تطلبه من عمل فردي وجماعي.

أي أن الــنهج النبوي في تعليم القرآن كان أيضا يساير تاريخ نزول آيات وسور القــرآن الكريم في مكة والمدينة وهذا ما يوضح التلازم بين تاريخ نزول القرآن وبين السيرة النبوية العطرة وسيرة الذين آمنوا من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم.

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوي مقدمة التفسير ١٣ / ٣٣١.

الفصل الرابع

الجهود المعاصرة للتأليف في تاريخ القرآن

يرجع السبب في تخصيص هذا الفصل للجهود المعاصرة، لأن جهود السابقين التي وصلت إلينا في هذا العلم قليلة نادرة، ولا تعدو أن تكون كلمات متفرقة في ثنايا المؤلفات التي عنيت بأمور أخرى، ولعل أشهر مؤلفات السابقين في هذا المجال القصيدة التي نظمها برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري المتوفى (٧٣٢هـ)، وعنوانها: تقريب المأمول في ترتيب النزول، ومطلعها:

مكيها ست ثمانون اعتلت نظمت على وفق النزول لمن تلا

اقرأ ونون مزمل مدثر والحمد تبت كورت الاعلى علا [1]

ثم ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري وما يقارب النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، عدة دراسات عن تاريخ القرآن وتاريخ المصحف مثل :

ـ **تاريخ القرآن** ، لأبي عبدالله الزنجاني، نشر دار الحكمة بدمشق.

ـ **تاريخ القرآن** للدكتور عبدالصبور شاهين، نشر (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

ـ **تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه،** تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي، طبع سنة ١٣٦٥هـ في جدة.

ـ **تاريخ القرآن الكريم** للدكتور محمد سالم محيسن، نشر مؤسسة شباب الجامعة في الإسكندرية.

ـ **تاريخ القرآن** تأليف إبراهيم الابياري، نشر دار القلم، ١٩٦٥م.

---

(١) أورد القصيدة السيوطي في الاتقان ١ / ٨٥ ، وانظر كتاب المكي والمدني في القرآن الكريم، تأليف: عبد الرزاق حسين أحمد، ففيه دراسة تاريخية قيمة عن المؤلفات في المكي والمدني وعن مؤلفيها ٧٩/١.

ـ **تـاريخ المصـحف الشريف** تأليف عبدالفتاح القاضي ، نشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني.

ـ **تـاريخ المصحف في ضبطه ورسمه** لزيدان محمود سلامه العقرباوي، نشر سنة ١٩٩٨م.

وقـد امتازت هذه الكتب بالحديث عن تاريخ القرآن وتاريخ المصحف على نحو منفصل عن عناوين علوم القرآن الأخرى، وبالرغم من أن الكتب الحديثة قد تناولت ما ذكر في الكتب القديمة حول القرآن وخاصة كتب علوم القرآن، فإنه يمكن القول ـ بتحفظ ـ إن هذه الدراسات والكتب وهي تتناول موضوعات تاريخ القرآن وتـاريخ المصـحف، كتـبت بحوافز دفاعية ضد الغزو المعرفي الخارجي، فغايتها في الغـالب الرد على المستشرقين وأقوالهم الباطلة عن القرآن، وخاصة ما تعلق بتاريخ المصحف (تاريخ القرآن)، وهو الجانب الذي قل اهتمام المسلمين المتقدمين بالكتابة عـنه، وهو الجانب الذي وجد المستشرقون فيه ـ بحسب ظنهم ـ ميدان مواجهة وتخريب.

ومن هنا كانت حاجتنا إلى الربط بين ما كتب حول تاريخ المصحف (القرآن) عـند المحدثـين مـن المسلمين وما كتبه المستشرقون، فليس كل ما كتب من قبل المسـلمين حـول تاريخ المصحف (القرآن) كان للرد على المستشرقين، بل كان لـلدرس الديني أيضا، وخاصة الدرس الديني الجامعي الذي أوجد الحوافز والدوافع للتأليف والتصنيف في هذا العلم، وربما وجدت حوافز ودوافع أخرى لسنا في مهمة إحصائها.

كما ظهرت بحوث ومقالات تتعلق بالموضوع، منها مقال للدكتور محمد عبدالله دراز نشره في مجلة الأزهر [١].

وبحث للدكتور محمد علي الحسن ذكر فيه الروايات المتعلقة بترتيب النزول ونقدها، وبين فيه أهمية هذا الموضوع وصعوبته، حيث قال: إن ترتيب نجوم القرآن حسب النزول أمر صعب المنال ولكنه في حيز الإمكان، وهو على غاية من الأهمية في التفسير الموضوعي الذي بدأ الاهتمام به في الدراسات الإسلامية، والمزلة فيه خطيرة لها آثارها السيئة ونتائجها الوخيمة في استنباط الأحكام، كما أنه على جانب عظيم من الأهمية لبيان حكمة الله التشريعية في البعد عن الطفرة والمفاجأة، وأخذ الناس بالسهولة واليسر والرفق.. [٢].

ـ **محاولة في ترتيب نزول السور المدنية** : تأليف الدكتور محمد هلال ، نشرت هذه الدراسة في حلقات على صفحات جريدة اللواء الأردنية و لم تكتمل بعد، وقد تفضل المؤلف ـ جزاه الله خيراً ـ بإطلاعنا على مخطوطة الكتاب وفيه نظرية جديرة بالدراسة والاهتمام وهي: أن السور القرآنية كانت تنزل منجمة ولكن بتتابع كامل وأن كل سورة أثناء فترة نزولها لم تكن تتقاطع مع سور أخرى إلا نادراً جداً، فإذا بدأ نزول سورة لم تفتح سورة غيرها حتى يكتمل نزول السورة الأولى وهكذا، وهذا رأي جدير بالدراسة وإن بدا للوهلة الأولى مخالفاً لما اشتهر في كتب علوم القرآن.

---

(١) الحسن: د. محمد علي ، ترتيب نزول القرآن ص ٣٥، وقد حاول الباحث الاطلاع على هذه المقالة فلم يتيسر له ذلك.

(٢) الحسن : د. محمد علي، ترتيب نزول القرآن ٤٩.

التفاسير الحديثة المرتبة بحسب النــزول:

ومــن الملاحظ اعتناء المفسرين المتأخرين بترتيب النــزول في مؤلفاتهم في تفسير القرآن حتى إن عدداً منهم اعتمد الترتيب التاريخي للقرآن ومن هؤلاء:

١ ـــ تفســير بيان المعاني للسيد عبد القادر ملا حويش العاني، في ستة مجلدات، نشــر مطــبعة الترقي، ١٣٨٢هـ ـــ ١٩٦٢م ، وفي ظنه أن تفسيره أول تفسير على تــاريخ النــزول [١]، وقد اعتمد ترتيب مصحف فؤاد، الذي طبع في مصر في عهد الملك فؤاد، بإشراف لجنة من علماء الأزهر.

٢ ـــ التفســير الحديــث. لمحمد عزة دروزة، في تسع مجلدات، نشر دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨١هـ ١٩٦٢ م [٢].

٣ ـــ معــارج الــتفكر ودقائق التدبر. وهو تفسير للقرآن الكريم بحسب ترتيب النــزول. تأليف عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، نشر منه ست مجلدات و لم يكتمل بعد [٣].

وقد سبق لمؤلف هذا التفسير وضع كتاب بعنوان: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عــز وجــل، خصص القاعدة التاسعة منه للحديث عن تتبع مراحل التنــزيل، مبيناً أهميــة ذلــك للمفسر، ووسائل التعرف إلى ترتيب نزول القرآن، ثم ذكر عدة أمثلة تؤكــد أن معرفة ترتيب نزول الآيات يعين المفسر على تبين معناها، ويفتح له آفاقا جديدة من التأمل والتدبر فيها [٤].

---

(١) السيد عبدالقادر ملا حويش : بيان المعاني، ١ / ٥.

(٢) كــتب الدكــتور فريد مصطفى السلمان رسالته العلمية للحصول على درجة الدكتوراه بعنوان (محمــد عــزة دروزة وتفســيره القرآن الكريم) وتعقب فيها عمل دروزة بالنقد والتمحيص ...، وقد نشرت عام ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، من قبل مكتبة الرشد في الرياض.

(٣) صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن دار القلم دمشق وبيروت، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

(٤) حبنكة : قواعد التدبر الأمثل ، ص ١٥١ ـــ ١٧٧.

إلا أنه حين وصل إلى ذكر ترتيب النـــزول اكتفى باعتماد الترتيب المنسوب إلى شــيخ المقــارىء المصرية: محمد بن علي الحسيني، دون أن ينعم النظر فيه، او يعمل بالطرق التي ذكرها في كتابه لمعرفة ترتيب نزول الآيات والسور [١].

٤ ــ تفســير القرآن المرتب منهج لليسر التربوي ، تأليف الدكتور أسعد علي، نشر دار السؤال للطباعة والنشر بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م.

واعــتنى بعــض المفسرين المتأخرين بالبحث في ترتيب النــزول، وممن يشار إليه بالبــنان في هذا المجال سيد قطب، حيث كان أحياناً يناقش ما قيل في ترتيب نزول بعض السور لعدم مناسبته ما تناولته السورة من أحكام وموضوعات[٢]، وكان يرى أن الترتيب الزمني للنــزول لا يمكن القطع فيه بشيء ولا يكاد الإنسان يجد فيه شيئاً مســتيقناً إلا في آيــات معدودات تتوافر بشأنها الروايات[٣]، وله نظرات وآراء في ترتيب النــزول مبثوثة في تفسيره [٤].

وكذلــك بعــض ما كتب في السيرة النبوية، فانه اعتمد على تاريخ القرآن، وما جاء فيه من أحداث بارزة، غالبا ما كانت كتب السيرة السابقة قد تناولتها بالرواية الحديثية أو الرواية التاريخية ومنها :

ــ ســيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صورة مقتبسة من القرآن الكريم، تأليف محمد عزة دروزة [٥].

---

(١) حبنكه : قواعد التدبر الأمثل ، ص ١٧٨ ــ ١٨٤.

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ١ / ٥٥٤.

(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ١٤٢٩.

(٤) انظر مثلاً : في ظلال القرآن ص ٢٢ من الطبعة القديمة.

(٥) عني بهذه الطبعة عبدالله بن ابراهيم الأنصاري، منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت.

ـــ السيرة النبوية في القرآن الكريم ، دراسة وتصنيف الدكتور عبدالصبور مرزوق ، نشر رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠١هـ.

ـــ العرض القرآني لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، إعداد الدكتور عمر يوسف حمزة ، نشر دار أسامة، الأردن ١٩٩٦م.

ـــ أسباب نزول القرآن وتاريخها عند ابن اسحاق : تأليف عمران سميح نزال، قيد الطباعة.

وسوف نعتمد على كتب التفسير والسيرة أو غيرها بحسب ضرورة ذكرها والحاجة إليها، وسوف ننوه إلى ذلك كلما ذكرنا الكتاب لأول مرة.

الفصل الخامس

جهود المستشرقين

اهتم الغربيون من اليهود والنصارى وغيرهم بالتعرف إلى القرآن والإسلام والمسلمين وعلومهم والكتابة فيها، فأفرز ذلك ظاهرة تسمى الاستشراق، وكان هدف معظمهم معرفة الآخر أو العدو والوقاية منه وصده وهزيمته إن أمكن ثم كسبه إلى اتباع ملتهم كرها أو طوعا أو تركه حائراً، ولذا تحولت ظاهرة الاستشراق من الدراسات المكتوبة في القرون السالفة إلى الاحتلال العسكري، وتجسدت وجودا عسكريا وسياسيا وثقافيا ودينيا واقتصاديا و عولمة، مما ربط هذه الظاهرة بردة فعل من الكره الشديد لها في كل مجالاتها بحكم التعميم، لأن المسلمين لم يجدوا فيها إلا العدو المادي والمعنوي، ولكنهم لم يهملوها فدرسوها في أغلب مجالاتها.

لقد شملت الظاهرة الاستشراقية الدراسات الإسلامية في جوانب عديدة [١]، منها في علوم القرآن وعلوم الحديث والشريعة والسيرة النبوية [٢] والجهاد [٣]، والأدب

(١) انظر الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية (١ــ٢)، الدكتور ساسي سالم الحاج، نشر مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا الطبعة الأولى ١٩٩١م.

(٢) انظر كتاب : سيرة الرسول في تصورات الغربيين للمستشرق الألماني جوستاف بفانمولر ترجمة الدكتور محمود حمدي زقزوق، نشر مكتبة ابن تيمية ــ البحرين، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.

(٣) انظر كتاب: دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوي المستشرقين، الدكتور جميل عبدالله المصري، دار القلم الطبعة الأولى ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م.

العـــربي [١] وغيرها، وقد درس المسلمون مناهج المستشرقين ومؤلفاتهم وحذروا من أوهامهم وردوا عليها [٢].

وفـــيما يخـــص تاريخ نزول القرآن فقد كان اهتمام المستشرقين كبيرا حتى ظن بعضهم أن البحث في تاريخ القرآن من بدع المستشرقين في علوم القرآن، وقد أثبتنا في هـــذا الكـــتاب خطأ ذلك الوهم وبينا أصالة هذا العلم في تاريخ العلوم القرآنية وكتب علماء المسلمين مما لا يترك للشبهة أثرا إن شاء الله.

لا شك أن للمستشرقين دراسات جديرة بالمعرفة والدراسة في هذا المجال وغيره، ولو اقتصرت ظاهرة الاستشراق على الدراسات العلمية الحقيقية الخالصة و لم تنحرف في أوهام الصراعات التاريخية وأحقاد الماضي التي تنكر نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وســـلم ولا تؤمن بأن الله تبارك وتعالى نزل على رسوله محمد كتابا هو القرآن كما أنـــزل على رسله من قبل التوراة والإنجيل لكانت ظاهرة إيجابية في هذا المجال، ولكن الذي حصل خلاف ذلك للأسباب التي ذكرناها وغيرها، مما وضع المستشرقين على أرضية مزلزلة لا تصدق بالحق الذي أنزله الله تعالى على رسوله في القرآن، ولا ينجو من ذلك إلا القليل النادر منهم.

وإذا علمنا أن جهود معظم المستشرقين كانت موظفة من دولهم ومن جهات عـــلمية أو تـــزعم العلمية وهي في حقيقة الأمر مشحونة بالحقد على الإسلام وأهله أدركـــنا لماذا فقدت دراسات المستشرقين الأمانة العلمية وشاع فيها التعصب الديني وفاح منها الحقد والحسد والغيظ بصفة عامة.

---

(١) انظـــر كتاب : فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دكتور أحمد سمايلوفيتش، من سرايفو يوغسلافيا، رسالة دكتوراه ١٩٧٤.

(٢) انظـــر كـــتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية (١ــ٢) لعدة مؤلفين، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج.

حبذا لو كانت دراسات المستشرقين علمية خالصة وحبذا لو قابلها دراسات استغرابية علمية خالصة، فذلك مدخل للتفاهم البشري في العالم بين كل الأمم والشعوب من بني آدم عليه السلام، والقرآن ينادي: { يا أيها الناس } و { يا أهل الكتاب }، كما ينادي { يا أيها الذين آمنوا }، ويقول الله تعالى { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }.

ولئن تورط الاستشراق في هذه الشراك غير الإنسانية وغير العلمية في تاريخه السابق فالدعوة موجهة للجميع أن تقوم الدراسات المتبادلة من جديد بحثا عن الحق لأنه ملاذ الإنسانية والسعادة البشرية.

وفي مجال دراسة تاريخ القرآن لم تخل دراسات المستشرقين من الاخفاقات الكثيرة التي ليس هنا مجال التوسع فيها [1]، وتحتاج إلى كتب مستقلة، ومما يؤخذ عليهم :

١ ــ عدم الاعتراف بأن القرآن كتاب من عند الله تعالى ولذا فإن القرآن في نظرهم من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام.

٢ ــ النظر إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام على أنه مصلح اجتماعي وصاحب ثورة اشتراكية، نظراً للصورة الاجتماعية والاقتصادية التي يرسموها لتاريخ مكة قبل الإسلام.

٣ ــ إنكار حقيقة الصلة بين القرآن والتوراة والإنجيل، والزعم بأن مصدر القرآن العهد القديم والجديد كما يتوهمون.

ولكن لهم محاولات ومساع مهمة في ترتيب النزول على أسس ومناهج بحث قابلة للأخذ والرد ولا تسلم من النقد والنقض، وقد اعتمد المستشرقون في

(١) انظر كتاب مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح، وكتاب قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، طبعة دار الفتح الأردن.

كتابـــتهم عن تاريخ القرآن ومحاولاتهم ترتيب نزوله على التحليل العقلي [١] والآراء الـــتحكمية، وممن اشتهر بدراسة القرآن وعلومه نولدكه وبلاشير وجيفري وجولد زيهـــر ولهم في ذلك مؤلفات معروفة [٢]، وغيرهم مثل رودويل وميوير وجيمه وبيل ومونـــتجومري وات، وقد وجد التفاوت بين ترتيبات المستشرقين أيضاً ولكن هناك ترتيبا أوشك أن يكون إجماعا ـــ عندهم ـــ بدأه فيل سنة ١٨٤٤م وأكمله نولدكه سنة ١٨٦٠م وصححه صحبه شوالي ١٨٧٢ وهو المعروف "بترتيب نولدكه " وقد اعـــتمده المستشـــرقون من كل الجنسيات مثل بلاشير في ترجمته للقرآن وباريخا في موسوعته [٣].

ثم قـــام كـــل من شفالي وبرجشتراسر بتصحيح محاولة نولدكه والإضافة عليها، وبالرغم من القول إن هذه المحاولات هي أشهر وأهم تلك المحاولات [٤] فقد كانت أبرز نقاط الضعف فيه اعتباره معظم السور وحدات كاملة، وهو ما تلافاه ريتشارد بيـــل ومونتجومري وات حين قسما السور نفسها إلى وحدات يتكون كل منها من مجموعة صغيرة من الآيات.

وقيـــل إن المستشرقين مدينون في هذا الترتيب لنولدكه الذي أفاد كثيراً في ترتيبه من أبي القاسم عمر بن محمد بن عبدالكافي [٥].

وأما محاولة بلاشير في كتابه: (القرآن : نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره) [١]، فقد وجدنـــا فيه وصفا لبعض معارف القرآن وقليل من المعارف عن علومه والفائدة منه

---

(١) درة يوسف الحداد : القرآن والكتاب، القسم الثاني أطوار الدعوة القرآنية، ٢٩٠.

(٢) مناهج المستشرقين ،مصدر سابق، ١ / ٢٥.

(٣) الحداد : القرآن والكتاب، مصدر سابق ٢٩٠.

(٤) حســـين محمد أمين، مقالة له بعنوان قواعد يستضاء بها في محاولة ترتيب السور والآيات القرآنية وفق تاريخ النـــزول. مجلة الهلال ـــ شعبان ١٤١٩هـ.

(٥) الدكتور فضل عباس، قضايا قرآنية ١٧٧، وتاريخ القرآن للزنجاني ٩٢.

قليلة في دراسة تاريخ القرآن إن لم تكن معدومة، وسوف نورد في الجدول المثبت آخر الكتاب والمتضمن مذاهب متعددة في ترتيب السور رأي اثنين من المستشرقين في هذه المسألة.

وقيل إن ما يمكن استخلاصه عن منهجية المستشرقين الغربيين وعلى رأسهم تيودر نولدكه أنهم اتبعوا الاتجاه العقلاني من البحث ولكنهم بحثوا في المثالب والسلبيات(٢).

ونحن نتحفظ من وصف دراسات المستشرقين بالعقلانية (٣) فقط إذ لا بد من تقييدها بالغربية، لأن الأصل في إطلاق صفة العقل أنها صحيحة، وهذا ما لم يثبت في دراسات المستشرقين التي تمثلت بدراسات وقراءات ناقصة لتاريخ نزول القرآن والسنة والسيرة النبوية (٤) ، وهذا ما أدى إلى انكسار الاستشراق في نظر علماء المسلمين وبعض المستشرقين المنصفين.

أتباع المستشرقين :

وقد تابع المستشرقين في الكتابة التاريخية لنزول القرآن عدد من كتاب أهل الكتاب من العرب منهم :

١ ـ درة يوسف الحداد، له سلسلة من الكتب بعنوان : دروس قرآنية، منها القسم الأول في بيئة القرآن الكتابية، والثاني : القرآن والكتاب القسم الثاني : أطوار الدعوة القرآنية، بحث فيه ترتيب النزول وقسمه إلى أطوار (٥)، و للأسف فإنه بسبب تقليده لأقوال وآراء المستشرقين الخاطئة بصفة عامة وبسبب كرهه للقرآن

---

(١) نقله إلى العربية: رضا سعادة، نشر دار الكتاب اللبناني بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

(٢) محمد غشام : قراءة في المستشرقون والقرآن لعمر لطفي العالم، الصادر عن مركز دراسات العالم الإسلامي مالطا ١٩٩١م، مجلة الاجتهاد ٣٤٥ ، العددان (٥٠ و ٥١).

(٣) انظر: عماد الدين خليل دراسة في السيرة ١١، نشر مؤسسة الرسالة١٩٨١م.

(٤) انظر : رضوان السيد : نقد الاستشراق ٦ ، مجلة الاجتهاد العددان (٥٠ و ٥١)، ٢٠٠٠م.

(٥) ليس على كتب الحداد أي معلومة عن دار النشر أو سنة الطبع أو مكانه.

ورسول الإسلام لم يستطع أن يأتي بجديد يستحق الذكر، وربما قصد من عمله التأكيد على متابعة قساوسة الشرق لقساوسة الغرب في التهكم والسباب والكذب والافتراء ضد القرآن والإسلام والمسلمين ومقدساتهم.

وقلنا للأسف لأن من المؤمل إن لم يدافع نصارى العرب عن القرآن والإسلام والمسلمين عصبية، وعرفانا بالجميل، لما لاقوه في أحضان المسلمين من ذمة وكرامة عبر التاريخ الذي يعرفونه، فلا أقل من أن يتحلوا بالأمانة العلمية والمصداقية في فهم القرآن لأن لسانهم عربي وهو لسان القرآن الكريم، فلا يقلدوا الفرنجة في فهم لا يستقيم لعربي فضلاً عن أن يكون مسلما حضارة وتاريخا وموطنا.

٢ ـــ أبو موسى الحريري ، تلميذ الحداد في كتبه، له كتاب اسمه عالم المعجزات (بحث في تاريخ القرآن) [١]، فاق فيه أساتذته الحداد والمستشرقين في كرهه الفاضح للقرآن، بل والكذب والافتراء [٢] على القرآن الكريم وعلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام.

وما قلناه عن انتهاك درة الحداد لمصداقيته الشخصية والطائفية والدينية يصدق أيضا على أبي موسى الحريري، ونتمنى أن لا يصدق على غيرهما من كتبة أهل الكتاب ، فحبذا لو أيقن أهل الكتاب أن القرآن ناداهم حتى يكونوا هم أهل الكتاب الأخير من الله تعالى وهو القرآن الكريم، وأن ما كتبه الغربيون المستشرقون عن القرآن وتاريخه ليس جديرا بالتقليد، وأنهم وإن قلدوهم فلن ينظروا إليهم إلا على أنهم شرقيون سواء أكانوا يهودا أو نصارى أو مسلمين، لأن نظرة الغربي العلمية

---

(١) الحريري: عالم المعجزات (بحث في تاريخ القرآن) الطبعة الثالثة، دار لأجل المعرفة، ديار عقل ـــ لبنان ١٩٨٦ م.

(٢) كتبت تعليقاتي على نسخة خصصتها لذلك وفيها ما يثبت تعمد أبي موسى الحريري الجهل أو التجاهل والكذب والافتراء والاستهزاء بالله وآياته ورسوله ودينه.

رهيـــنة للمشـــروع السياسي وليس العكس كما بين ذلك إدوارد سعيد في كتابه : الاستشراق [المعرفة. السلطة. الإنشاء] (١).

(١) ادوارد ســعيد : الاستشراق ٤٧، ترجمة كمال أبو ديب، طبعة ثانية ١٩٨٤م، مؤسسة الأبحاث العربية.

الباب الثاني

تحرير علم تاريخ نزول القرآن عن غيره من العلوم

الفصل الأول

تاريخ نزول الآيات القرآنية

أخبر الله تعالى في سورة الفرقان عن اعتراض الكفار على عدم نزول القرآن جملة واحـــدة فقال تعالى في سورة الفرقان : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْـــلَةً وَاحِـــدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)}.

وفي هـــذا الخبر إعلام أيضاً عن الطريقة التي كان ينـــزل بها القرآن، وحيث أن هـــذه الآية مكية فهي تتكلم عن موقف جماعي يمثل اعتراض الذين كفروا على عدم نـــزول القرآن دفعة واحدة، وفي الجواب أيضاً إعلام عن منهج في فهم وتدبر القرآن الكـــريم، أي أن الله سبحانه وتعالى أعلمنا عن الغاية التي نزل بها القرآن منجما وهو منهج فهم القرآن، فقال تعالى : { كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً }.

فـــالجواب آية من القرآن تتلى إلى يوم القيامة، لتبقى وتعلم أنها منهج فهم للقرآن وهـــو المـــنهج التثبيتي لرسول صلى الله عليه وسلم أولاً والذين آمنوا ثانياً، وهذا المـــنهج مـــنهج تدبر القرآن الذي أمر الله به، وهو الربط بين زمن النـــزول والمعاني الـــنازلة في هذا التاريخ وفيها معنى التثبيت بحسب مراحل الدعوة ضعفا وقوة ماديا ومعنويا.

وفي سورة الإسراء بين المولى عز وجل طريقة نزول القرآن فقال: {وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تنـــزيلاً } [سورة الإسراء].

أي أنـــه نـــزل مفرقاً حتى يقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس كذلك مفرقاً، وحيث إن الآية الأولى في سورة الفرقان وآية سورة الإسراء قالت (فرقناه) تيمنت بذلك لتسمية علم نزول القرآن مفرقاً على شكل آيات : بالنظرية الفرقانية.

وهي تقول من خلال فهمها للآيات الواردة في ذلك : إن نزول القرآن كان على شـكل نزول آيات منه على دفعات دون معرفة عدد الآيات التي كانت تنـزل في كل مرة و دون معرفة تاريخها بالضبط، وإن كيفية النـزول كانت ابتداءً للآيات ثم توضـع في سـورها بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم كما أمره الله تعالى بقوله في سـورة الفرقان: { وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً } وقوله تعالى في سورة القيامة: { لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ(١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ(١٩) }.

قـال الطـبري:(القول في تأويل قوله تعالى: {وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القـرآن جمـلة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك}. يقول تعالى ذكره: {وقال الذين كفـروا} بـالله {لولا نزل عليه القرآن} يقول: هلا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن {جملة واحدة} كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال الله: {كذلـك لنثـبت به فؤادك} تنـزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء، لنثبت به فؤادك نزلناه.) (١).

وقولـه تعالى: { ورتلناه ترتيلا } أي جعلناه متتابعاً لأن الرتل في اللغة :(حسن تناسـق الشيء) (٢)، ومعناه قراءة القرآن بعضه على أثر بعض حتى يتم تبيين المعاني مرتبة.

وكذلك يفهم من قوله تعالى في سورة النحل: { وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَكَانَ ءَايَة وَاللَّهُ أَعْـلَمُ بِمَا ينـزل قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) }.

---

(١) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩/١٠.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ١١ / ٢٦٥.

أي أن مواضع الآيات في السورة الواحدة كان بأمر من الله تعالى، وأن إبدال آية قرآنية مكان آية قرآنية أخرى بأمر من الله، وذلك عندما كانت تنزل آية جديدة فتوضع بين آيات سابقة فيتغير موضع الآيات التالية لأن الآية الجديدة وضعت بينها، والقرآن يرد على اعتراض الكفار على هذا التغيير في المواضع، أن القرآن المترل نزل بأمر من الله والذي نزل به هو روح القدس جبريل عليه السلام، فالترتيب الجديد للآيات هو بأمر روح القدس أيضاً، فأخبر المولى عز وجل أن ذلك التبديل لموضع الآيات لا يكون بأمر من الرسول نفسه وإنما بأمر من الله تعالى، فالآية رد على الذين يعترضون على تبديل مكان الآيات، الأمر الذي يستلزمه تنزيل القرآن منجما وعلى مكث وبترتيب يعلم الله حكمته، وهو تثبيت فؤاد النبي والمؤمنين، والله أعلم بما ينزل لما تقتضيه حكمة التنزيل بما نصت عليه الآية التالية، { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }، فليس أمر هذا التبديل في المواضع من اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما بما ينزل به روح القدس جبريل عليه السلام من ربك، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يترجم ذلك فيقول ضعوا هذه الآيات في مكان كذا بعد الآية كذا أو في الموضع الذي يذكر فيه كذا أو كما قال عليه السلام، والسبب في ذلك كما قال تعالى {لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }.

قال القرطبي:(قيل: المعنى بدلنا شريعة متقدمة بشريعة مستأنفة؛ قاله ابن بحر. **مجاهد: أي رفعنا آية وجعلنا موضعها غيرها.**

وقال الجمهور: نسخنا آية بآية أشد منها عليهم. والنسخ والتبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه. وقد تقدم الكلام في النسخ في البقرة مستوفى) (١).

وحيث قد ورد في تأويل الآية معنى نسخ الشرائع السابقة أو تبديل موضع الآيات في القرآن أو النسخ في الشريعة الإسلامية، فإن الأخير مستبعد **لأن سورة النحل**

---

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٧٦.

مكيـــة والآية مكية بحكم مناسبة نزول سورها، وإذا ثبت النسخ في الشريعة فعن طـــريق آية سورة البقرة في المدينة المنورة فلم تنسخ الآيات بعضها في العهد المكي، وليس المقصود بالتبديل الشرائع السابقة لأن نسخ الشرائع السابقة لا يكون بنسخ آية مقـــابل آية من الشرائع السابقة وإنما بنسخ الشريعة للشريعة ككل، فالتأويل الراجح هو تأويل مجاهد والله أعلم.

هذه الآيات دليل قاطع وصريح على عدم نزول القرآن دفعة واحدة، وعلى نزوله عـــلى دفعـــات أيضاً، فقد كان ينـــزل في كل مرة آية أو آيات بحسب السبب أو المناسبة.

فـــإذا نفت سورة الفرقان نزول القرآن دفعة واحدة، فهل نزل القرآن سورة بعد ســـورة أم نـــزل آيات متفرقة سواء على شكل آية واحدة أو بضع آيات، كما في النـــزول الأول لخمس آيات من سورة العلق، أو سورة كاملة كما في السور القصار مـــثل ســـورة الكوثـــر أو الإخلاص أو سورة الفيل وأغلب السور المكية القصار، فالراجح أن هذه السور القصيرة نزلت دفعة واحدة.

وأمـــا السور الطوال فقد جاء في الرواية إن بعضها نزل دفعة واحدة مثل سورة الإنعام أو سورة المائدة، ولكن الرأي المشهور أنها لم تنـــزل دفعة واحدة بل بحسب أسباب النـــزول ومناسباتها وبخاصة السور المدنية التي كانت تتزامن مع غزوات النبي صلى الله عليه وسلم والأحدث التي واجهتها دولة المؤمنين في الحياة المدنية وأحكامها التشريعية.

فـــيما قرأناه من قبل لا تخبرنا آية سورة الفرقان أو الإسراء أو النحل عن الكيفية التي كان ينـــزل بها القرآن، أي لا تخبرنا عن عدد الآيات التي كانت تنـــزل في كل مرة ؟ أو إن كانت الآيات تنـــزل مفرقة وبتواريخ متباعدة وتوضع حيث يأمر النبي

صلى الله عليه وسلم بحيث يتداخل نزول كل آية أو مجموعة من الآيات في السور القرآنية كلها أو بعضها ؟

فإذا كان الأمر كذلك ففي هذه الحالة تكون السور عند كتبة الوحي تشبه ملفات مفتوحة يضاف إليها ما يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم في المكان المحدد لذلك، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يوجه كتبة الوحي إلى الموضع من الملفات أي السور القرآنية حيث يضعون فيه الآيات الجديدة، وهذا المعنى يتفق مع القول بأن القرآن لم يجمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى أنه لم يضم ككتاب مغلف، لأن هذه السور لم تضم إلى بعضها البعض في كتاب واحد، بل بقيت السور كل واحدة في موضع خاص بها يضاف إليها ما ينزل من آياتها بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الحال كانت الصحف التي كتب عليها القرآن قد كتبت كلها مجموعة في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنها لم تجعل بين دفتين محكمتي الإغلاق لتواصل نزول القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، أي أن القرآن كان مكتوبا ومجموعا في صحف في بيت النبي وقبل وفاته وهذا الجمع الأول للقرآن.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قامت دولة المؤمنين في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بضم هذه الملفات بعضها إلى بعض وجعلتها في جمع واحد أي كتاب واحد وهذا الجمع الثاني للقرآن، وميزه هذا الجمع أنه جعل المصحف بين دفتين.

هذا الرأي هو المشهور عند علماء المسلمين بأن النزول كان للآيات وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأمر كتبة الوحي أن يضعوا الآيات النازلة في المواضع التي يذكرها لهم وقد اشتهر هذا الرأي عند علماء علوم القرآن، فالنظرية فرقانية لأن النزول كان مفرقاً.

وبعد ظهور دراسات المستشرقين لتاريخ نزول القرآن وكتابتهم فيه من باب نقد الكتب الدينية كما هو الحال عندهم لما بين أيديهم من كتب دينية، قالوا إن القرآن يفتقد إلى الوحدة التركيبية والموضوعية، وإن الآيات في السورة الواحدة غير مترابطة، وما ذلك إلا لجهلهم بالنظرية الفرقانية التي نزل القرآن عليها.

وفي تقديرنا أنه لو كان علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن مصنفاً قبل دراسات المستشرقين[1]، وكان قد كتب فيه كما صنف في أغلب علوم القرآن لما وجدت هذه الشبهة ابتداء، لأن هذا العلم يدرس تاريخ النزول بأسبابه ومناسبات نزوله وتطور مراحل الدعوة وصلتها بتاريخ نزول القرآن وتاريخ التشريع كما سبق بيانه.

وقد أشرنا من قبل إلى دراسة قيمة في هذا الموضوع قدمها الأخ والصديق الدكتور محمد هلال في كتابه: **محاولة في ترتيب نزول السور المدنية**، وفيها نظرية جديرة بالاهتمام والدراسة نتمنى لو تكون صحيحة فعلاً، وهي تقول: إن القرآن كان ينزل منجما ولكن على شكل سور متواصلة وإن النزول كان منجما لآيات السورة الواحدة فلا تبدأ سورة جديدة حتى تكتمل آيات السورة السابقة، ، أي أن السور القرآنية كانت تنزل بتواصل بحسب تاريخ نزولها وموضوعها من غير أن ينزل في ثنايا نزولها آيات من سورة أخرى، أي أنها نظرية نزول السور بتواصل تاريخي وموضوعي [(٢)].

وإنا بالرغم من قناعتنا بالنظرية الفرقانية السالفة الذكر إلا أن رغبتنا أن تترجح النظرية الجديدة، ولكن الرجحان ليس بالتمني وإنما بمتابعة الأدلة القرآنية والروايات

---

[1] ربما كان مصنفا فيه ولكن لم تعرف الكتب التي صنفت و لم تصلنا.

(٢) الدكتور محمد هلال : محاولة في ترتيب نزول السور المدنية، في الحلقات الثلاثة الأولى وهي بعنوان دواعي هذه الدراسة، جريدة اللواء بتاريخ ٢٦/٧/٢٠٠٠م.

الحديثية والآثار والشواهد التاريخية والحق أحق أن يتبع، وحيث إن المسألة موضع اجتهاد فلا بد من مناقشة الأدلة ودراسة الروايات الواردة والآثار المتوفرة.

ومما يؤخذ على هذه النظرية أن الرد على ما كتبه المستشرقون عندما قالوا: (بعدم وجود ترابط بين الموضوعات التي تعالجها السورة القرآنية الواحدة)، لا يتطلب أن يقال: إن نزول السور القرآنية كان بتواصل من غير تقاطع مع نزول آيات من سور أخرى أو نزول سور أخرى.

وحيث إن النظرية الفرقانية تقوم في الأصل على فهم الآيات القرآنية الواردة كما سبق بيانه، وكذلك على ما ورد من روايات كثيرة في علوم القرآن وتفسيره مثل روايات علم أسباب النزول وروايات علم الناسخ والمنسوخ وروايات مناسبات النزول فيما وفيمن نزل القرآن، وروايات أخرى وردت في كتب الحديث وكتب السير والمغازي وكتب الطبقات والتاريخ، وآثار للصحابة والتابعين، فإنه ليس من السهولة افتراض عدم صحة كل هذه الروايات والتي ثبت بها نزول آيات في غير تاريخ نزول سورها، أي أن تاريخ نزول الآية غير تاريخ نزول سورها، كأن تكون السورة مكية وفيها آيات مدنية أو العكس أو أن في السورة الواحدة آيات نزلت في بداية العهد المكي وأخرى في أوسطه وأخرى في آخره كما في سورة المزمل، وكذلك في السور المدنية فقد يبدأ نزول السورة في أول العهد المدني وينزل منها آيات في أوسطه أو آخره كما في سورة البقرة وهكذا.

إن القول بأن للقرآن وحدة موضوعية وتاريخية بآياته وسوره لا يستلزم القول بأن آيات السورة القرآنية الواحدة نزلت في تتابع تاريخي واحد دون أن يتقاطع مع آيات من سورة أخرى، وإن دراسة تاريخ النزول بعلم منهجي تاريخي يوصل إلى نفس النتيجة التي تقول بالوحدة الموضوعية والتاريخية للقرآن كله.

الفصل الثاني

تاريخ نزول القرآن وليس تاريخ القرآن

ذكرت بعض الروايات أن القرآن أنزل إلى السماء قبل نزوله منجما على الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما كانت هذه الدراسة معنية بدراسة تاريخ القرآن الكريم من يوم نزوله في غار حراء في مكة المكرمة، و لم تكن روايات نزوله إلى السماء الدنيا ثابتة في نص قرآني أو حديث نبوي صحيح، لم يكن من فائدة ترجى من معرفة ذلك في هذه الدراسة، ولكن هذه الأقوال ظلت تأتي في معرض تفسير بعض آيات القرآن التي اقترنت بكلمة النزول.

قال الطبري: (قوله :{ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن} فإنه ذكر أنه نزل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان، ثم أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم على ما أراد الله إنزاله إليه. كما:

ـ حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن} ، أما أنزل فيه القرآن، فإن ابن عباس قال: شهر رمضان، والليلة المباركة: ليلة القدر، فإن ليلة القدر هي الليلة المباركة، وهي من رمضان، نزل القرآن جملة واحدة من الزبر إلى البيت المعمور، وهو مواقع النجوم، في السماء الدنيا حيث وقع القرآن، ثم نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في الأمر والنهي وفي الحروب رسلا رسلا...

ـ حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء جملة واحدة، ثم فرق في السنين بعد قال: وتلا ابن عباس هذه الآية: {فلا أقسم بمواقع النجوم} [الواقعة ٥٧]، قال: نزل مفرقا..

قال ابن جريج: كان ينـــزل من القرآن في ليلة القدر كل شيء ينـــزل من القرآن في تلك السنة، فترل ذلك من السماء السابعة على جبريل في السماء الدنيا فلا ينـــزل جبريل من ذلك على محمد إلا ما أمره به ربه ومثل ذلك: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} [القدر: ١] و {إنا أنزلناه في ليلة مباركة} [الدخان: ٣].

٢٣١٥ - حدثـــني المـــثنى، قـــال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، عن إســـرائيل، عـــن السدي، عن محمد بن أبي المجالد، عن مقسم، عن ابن عباس قال له رجل: **إنه قد وقع في قلبي الشك** من قوله: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن} وقوله: {إنا أنزلناه في ليلة مباركة} وقوله: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} وقد أنزل الله في شـــوال وذي القعدة وغيره قال: إنما أنزل في رمضان في ليلة القدر وليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام..) (١).

كـــل هـــذه الروايات هي من تأويلات عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وقد جـــاءت في معرض رفع الشبهة عن بعضهم كيف نزل القرآن في ليلة القدر وكيف نزل في شهر رمضان فجاء جوابه موفقا بين النـــزولين، والمهم أن ذلك ليس من علم تـــاريخ نـــزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن ما ندرسه هو تاريخ نزول آياته وسوره منجمة ومفرقة كما هو ثابت بنص القرآن الكريم.

وإذا مـــا ورد في هذا الكتاب تاريخ القرآن من غير كلمة النـــزول التي تقع بين كلمة التاريخ والقرآن فذلك من باب الاختصار لا غير، وليس من مسألتنا أن نبحث عن تاريخ القرآن قبل نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا أمر غيـــبي لا يقال فيـــه إلا بالـــنقل الثابت وحياً، بل ذهب الدكتور صبحي الصالح إلى القول بأن هذا الرأي يتعارض مع صريح القرآن فقال:(ولسنا نميل إلى الرأي القائل إن للقرآن ثلاث تـــنـــزيلات الأول إلى اللوح المحفوظ والثاني إلى بيت العزة في السماء الدنيا والثالث

(١) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفريقه منجما بحسب الحوادث، وإن كانت أسانيد هذا الرأي كلها صحيحة ، لأن هــذه التــنــزلات من عالم الغيب الذي لا يؤخذ فيه إلا ما تواتر يقيناً في الكتاب والسنة، فصحة الأسانيد في هذا القول لا تكفي وحدها لوجوب اعتقاده فكيف وقد نطق القرآن بخلافه إن كتاب الله لم يصرح إلا بتفريق الوحي وتنجيمه)[1].

وفي تقديــرنا أن المخرج من التساؤلات السابقة للجمع بين الآيات هو فهم معنى كــلمة القرآن على أنها تطلق على كل قدر من الآيات كانت نازلة في كل سنة من ســنوات تــاريخ نزول القرآن، ودليله قوله تعالى في سورة المزمل: { وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَــرْتِيلاً (٤)} فهذه الآية من أوائل ما نزل من القرآن فأطلقت اسم القرآن على ما نزل حتى تاريخ نزولها، فكلمة القرآن تطلق على الآية أو الآيات أو السورة الواحدة أو السور الكثيرة والله أعلم.

(١) صــبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ٥١ ، الطبعة الثالثة عشرة لدار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م.

الفصل الثالث

تاريخ نزول القرآن وليس تاريخ المصحف

مر معنا أن عددا من المعاصرين صنف في تاريخ القرآن وقد ظهر أن منهم من عبَّر عـــن تاريخ نزول القرآن بِـــ (تاريخ القرآن) وتاريخ المصحف دون أن يفرقوا بين العـــلمين فجاءت كتابتهم تجمع بين العلمين، والحقيقة أن التفريق بين العلمين ثابت عـــلميا وعمـــليا، نظـــريا وواقعيا، أي أن علم تاريخ نزول القرآن غير علم تاريخ المصـــحف، أو أن هذا ما يجب أن يكون علمياً، وتم تخصيص هذا الفصل للتعريف بكـــل علم منهما وبيان الفرق بينهما، وندعو إلى أخذ هذا التفريق بعين الاعتبار من قبل الباحثين في هذا المجال.

وممـــا دعانا إلى هذا التفريق، أن هذا الكتاب جاء ليبحث في تاريخ نزول القرآن نفسه وليس في تاريخ المصحف، وحيث إن بين العلمين تداخلا وصلات، فلا بد من التطرق إلى بعض موضوعات تاريخ المصحف أيضا، وبخاصة إذا نظر إلى علم تاريخ نـــزول القـــرآن كأصل، وإلى تاريخ المصحف كفرع، أو إذا نظر إلى تاريخ نزول القرآن كأرض أقيم عليها أبنية علمية كثيرة، فانه سيكون من بين هذه الأبنية العلمية تاريخ المصحف.

ويمكـــن القول باختصار إن **علم تاريخ المصحف هو : علم تاريخ كتابة القرآن الكـــريم في أطوارهـــا المختلفة**، بدءاً من كتابته الأولى في العهد النبوي زمن نزول القرآن ثم في دولة المؤمنين في الخلافة الراشدة والعهد الأموي والعباسي وما بعده إلى يومنا هذا، وهذا فرع علمي يتشعب عن أصل علمي، هو وجود القرآن الكريم نفسه بعد نزوله.

وتحديدا نقول إن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقطاع وحي النبوة عن بني آدم إلى قيام الساعة هي اللحظة التاريخية التي تفصل بين العلمين علميا وواقعيا وتاريخيا.

فعلم تاريخ نزول القرآن يبدأ من يوم نزول الوحي أول مرة في غار حراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فرد وحيد، ويتتابع مع تواصل نزول القرآن آيات وسوراً ليقرأه الرسول على الناس على مكث، وحتى انتهاء عصر النبوة، وقد أنتجت هذه الدعوة أمة واحدة مسلمة ومؤمنة، وأقام المؤمنون دولة لهم في المدينة المنورة.

فعلم تاريخ نزول القرآن يهتم بمدة النبوة المحمدية التي نزل بها القرآن، وهي مدة ثلاث وعشرين سنة تقريبا، نزل بها كل القرآن على محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وكان نزول القرآن عليه منجما، وفترة التنجيم هذه هي المدة الزمنية التي يتحدد بها تاريخ القرآن، في بدايته المكية وتواصل نزوله في مكة والمدينة وغيرهما من الأماكن، ثم في ختامه وآخر ما نزل منه زمنيا، وليس للقرآن تاريخ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم ينزل شيء من القرآن بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، لأن نزول القرآن تم وتكامل قبل وفاته صلى الله عليه وسلم.

فالمدة الزمنية التي يُعنى فيها تاريخ القرآن هي مدة البعثة المحمدية، وعليه فان علم تاريخ القرآن هو العلم الذي يبحث تاريخ نزول الآيات والسور القرآنية زمانيا ومكانيا في المدة التي نزل بها القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو يؤرخ للآية الواحدة متى نزلت وأين نزلت، وما نزل قبلها وما نزل بعدها، وكذلك يؤرخ للآيات التي كان نزولها معا، سواء أكانت هذه الآيات تشكل وحدة مستقلة، أي سورة كاملة، أم جزءاً من سورة، فالتأريخ للآيات والسور القرآنية وهي منفصلة أو في سياق واحد، من مهمات علم تاريخ القرآن، وبتعريف آخر نقول إن تاريخ

القــرآن هو تأريخ نزول الآيات والسور على الرسول صلى الله عليه وسلم زمانيا، وهو المدة بين ابتداء بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبين وفاته.

وأمــا المدة الزمنية التي يبحث فيها تاريخ المصحف، فهي تبدأ من اليوم الذي بدأ فيــه الــتدوين الكــتابي، على الأشياء القابلة للكتابة عليها والمتوفرة في البيئة المكية والمدنية وغيرهما، في حياة الرسول وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا، وإلى قادم الأيام والسنين، فتاريخ المصحف يسير مع تاريخ المسلمين، وقد كانت أهم مراحله في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم في دولة المؤمنين في الخلافة الراشدة وما أتى بعدها من دول في بلاد المسلمين من الأمويين والعباسيين والسلطنات المتعاقبة في المشرق والمغرب والأندلس، ثم المرحلة التي طبع فيها المصحف على آلات الطباعة الحديثة، فهذه ثلاث مراحل أساسية في تاريخ المصحف، موضوعات البحث فيها عن الجهــة المسؤولة عن الكتابة والأمر بها، والكيفية التي كتب بها المصحف، والوسائل والأدوات المســتعملة في الكــتابة، والأشياء التي كتب عليها، والأشكال والرسوم والنقط والخطوط والحركات التي كانت قائمة، وسوف نبحث ذلك في كتاب آخر إن شاء الله تعالى.

هذا ما نراه من تعريف وتباين بين العلمين، ولو لم يكن من أثر أو فائدة تذكر من وراء هــذا البيان ــ وهي فوائد علمية كثيرة ــ لكان بيان الحقيقة نفسها من النظر إلى علم تاريخ القرآن، كعلم قائم بنفسه ومستقل عن غيره من العلوم، وخاصة عن عــلم تاريخ المصحف، جديراً بهذا البحث، بل إن الذي يمكننا قوله هنا ــ وبتحفظ أيضــا ــ إن الخلط بين العلمين، جعل كل الشكوك المتعلقة بتاريخ المصحف وهي شكوك باطلة أو واهية أو قائمة على الجهل أو سوء الفهم في جملتها، وكأنها متعلقة بــتاريخ القرآن الذي لم يتخلله أدنى شك في تاريخه كله، وقد كان هذا التفريق لو أُخذ بعين الاعتبار كافيا وشافيا في بيان الحقائق التاريخية القاطعة، بصحة نقل القرآن

الكـــريم، دون أن تثار حوله الشكوك، وهي شكوك متعلقة بتاريخ المصحف وليس بـــتاريخ القرآن، ولكان في ذلك رفع للحرج والحيرة التي أعرب عنها بعض علماء المســـلمين (١)، عـــندما واجهوا روايات متعددة ومتعارضة عن وجود نسخ مختلفة للمصحف في القرن الأول الهجري.

ومـــا أوهم الخلط بين العلمين ما ذكره المحدِّثون عن جمع القرآن وهم يقصدون جمـــع المصحف الإمام في دولة المؤمنين في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لأن جمـــع القرآن من الموضوعات التي ينتهي بها تاريخ القرآن ويبدأ بها تاريخ المصحف، ولذلـــك اعتنى به كل من كتب حول تاريخ القرآن وتاريخ المصحف، وخاصة من المؤلفـــين المحدثين، ومواضيع هذا الباب مما تناوله المؤلفون كثيرا، فتَحْت عنوان جمع القرآن روى البخاري الخبر التالي:

((حدثنا موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن عبيد بن الســـباق أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فـــإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القـــتل قـــد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، **وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.**

قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال عمر : هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قـــال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحـــي لرسول الله صلى الله عليه وسلم **فتتبع القرآن فاجمعه.** فوالله لو كلفوني نقل

(١) انظر تاريخ القرآن : تأليف الدكتور عبد الصبور شاهين ٩ ـــ ١٣.

جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من **جمع** القرآن قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : هو والله خير.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم } حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه)) (١).

وتحت العنوان نفسه روى البخاري الخبر التالي :

((حدثنا موسى حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه: أن حذيفة ابن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف **ننسخها** في المصاحف ثم نردها إليك.

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام **فنسخوها** في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا **نسخوا** الصحف في المصاحف رد عثمان

---

(١) البخاري : الجامع الصحيح ٦ / ١١٩.

الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما **نسخوا**، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال ابن شهاب : وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال فقدت آية من الأحزاب حين **نسخنا** المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه } فألحقناها في سورها في المصحف))(١).

ولا بد هنا من التفريق بين كلمتي الجمع والنسخ، وهو ما وجدنا الروايات السابقة تفعله، فقد قيل في مواضع الجمع وفي أخرى النسخ، وبالتحديد قيل عما تم في عهد أبي بكر رضي الله عنه الجمع، وقيل عما تم في عهد عثمان رضي الله عنه النسخ، والفارق بينهما بيِّنٌ ظاهر، وهو أن الجمع في عهد أبي بكر كان للقرآن ليكتب في المصحف الإمام والجمع في عهد عثمان ليس جمعاً للقرآن وإنما نسخاً للمصاحف عن المصحف الإمام الأول.

وروي في مسند أحمد الخبر التالي : ((حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عوف حدثنا يزيد يعني الفارسي قال أبي أحمد بن حنبل و حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن يزيد قال : قال لنا ابن عباس رضي الله عنه قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما و لم تكتبوا ـــ قال ابن جعفر بينهما ـــ سطراً بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك ؟

قال عثمان رضي الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول : (ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)

(١) البخاري : الجامع الصحيح ٦ / ١٢١.

ويــنــزل عليه الآيات فيقول : (ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكــذا) وينــزل عليه الآية فيقول : (ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كــذا وكــذا) وكــانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة وبراءة من آخر القرآن فكانت قصتها شبيها بقصتها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يبين لنا أنها منها وظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما و لم أكتب بينهما سطراً بسم الله الرحمن الرحيم قال ابن جعفر ووضعتها في السبع الطوال)) [١].

اختلف العلماء في الحكم على الحديث من جهة سنده ومتنه، فمن جهة سنده فيه يــزيد القراشي الفارسي وهو غير متفق على تحديده إن كان ابن هرمز أو غيره، فهو عند ابن حجر مقبول، وعند أبي حاتم : لا بأس به، وأما من جهة متنه فأنكر المحدث أحمــد شاكر أن يقع الشكك في ترتيب المصحف المقطوع به، أو وضع البسملة بين الســور، وهذا رأي صحيح ولكنه لم ينكر كل المتن الذي يخص ما جاء حديثاً عن الــنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لكتبة الوحي إذا نــزلت عليه آيات: (ضعوا هــذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا و كذا) وإذا كانت تنــزل عليه الآية فيقول: (ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا) [٢].

لذا فلا يضعف الخبر كله لجهالة البعض بيزيد القراشي وقد قبله آخرون، طالما أنه غير مطعون فيه، ولا يرد المتن كله لنكارة جزئية في متنه، ولذلك حسنه الترمذي [٣]،

---

(١) ابن حنبل : أحمد بن حنبل، المسند، المكتب الإسلامي، بيروت، ١ / ٥٧.

(٢) انظــر مســند أحمد بتحقيق شعيب الأرنؤوط ١ / ٤٦٠، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، وكــتاب المصاحف لأبي بكر السجستاني ١/٢٣٠، بتحقيق الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ، وزارة الأوقاف بقطر ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٣) الترمذي: سنن الترمذي ٤ / ٣٣٦.

وصـــحه الحاكم [١] ووافقه الذهبي، واحتج ابن حجر بالخبر في أن ترتيب القرآن توقيفي وقال: وصححه ابن حبان [٢]، والله اعلم.

(١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين ٢ / ٢٢١.

(٢) ابن حجر : فتح الباري ٢ / ٤٢.

الفصل الرابع

تاريخ نزول القرآن والأحرف السبعة

ذهـــب عدد من المؤلفين في دراستهم لتاريخ نزول القرآن إلى الحديث عن أحـــاديث الأحـــرف الســـبعة [١] وعلم القراءة ومذاهب القراء المعروفة والقراءات الشاذة، فقال عبدالصبور شاهين إن الكتابة عن تاريخ القرآن محيرة لأن المصادر التي يمكن أن تتخذ نقطة انطلاق في بحث مشكلات تاريخ القرآن وعن القراءات الشاذة بخاصة لا بد أن تتوفر مطبوعة كانت أو مخطوطة والأمر هنا بالعكس، فالمطبوع منها نادر الوجود والمخطوط أغلبه مفقود [٢]، وتحدث عن مصادر البحث ومناهجه فذكر كـــتب وجهـــود ابن مجاهد وابن خالويه [٣] وابن جني [٤] وغيرهم، وقال إن كتابه يشـــتمل على عدة فصول" عالجت تاريخ القرآن : ابتداء من قضية الأحرف السبعة حـــتى آخر ما ألف في القراءات الشاذه بمفهومها العام ومنهجنا فيه تاريخي مع اعتناء خاص بنقد مذاهب المستشرقين ومن أخذ عنهم" [٥]، ولو تتبعنا كلامه أكثر لوجدنا أن العـــالم الفاضل وهو يرد على المستشرقين في فصول هذا العلم أدخل فيه ما ليس مـــنه، وكان عليه قبل الرد على أوهام المستشرقين أن لا يقبل موضوعات البحث في تـــاريخ القـــرآن كما يقررها المستشرقون، وأن يضعوا له أصوله وضوابطه وأبوابه وفصوله.

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح، الباب الثاني تاريخ القرآن.

(٢) الدكتور عبدالصبور شاهين : تاريخ القرآن ٨.

(٣) لابـــن خالويـــه كتاب مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، عني بنشره : ج. برجشتراسر ، وقدم له : آرثر جفري ، طباعة دار الهجرة.

(٤) لابن جني كتاب في الشواذ اسمه المحتسب عرّف به عبدالصبور وبمصادره، وهو مطبوع.

(٥) عبدالصبور شاهين : تاريخ القرآن ١٩.

ونحسب أننا وضحنا من قبل الفرق بين علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن وبين علم تاريخ المصحف، وأنهما علمان منفصلان، وكذلك نقول أن مسالة حديث الأحرف السبعة الذي وصل حد التواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له صلة بتاريخ نزول آيات وسور القرآن، لأن تاريخ ورود حديث الأحرف السبعة متأخر لما بعد فتح مكة لأن هشام بن حكيم المشارك لعمر بن الخطاب في الحديث الصحيح من مسلمة الفتح، ولم يؤرخ حديث واحد لقراءة معينة، وقراءات النبي صلى الله عليه وسلم متواترة عنه دون تعيين تواريخ لهذه القراءات في العهد النبوي الشريف، وما نشأ بعد ذلك في دولة المؤمنين فيما تعلق بجمع القرآن في المصحف الإمام في خلافة أبي بكر الصديق أو نسخه وتوزيعه في خلافة عثمان رضي الله عنهم أجمعين لا علاقة له بتاريخ نزول آيات وسور القرآن لأن تاريخ القرآن وتاريخ نزوله توقف مع وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وما قامت به دولة المؤمنين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يتعلق بتاريخ المصحف وليس بتاريخ القرآن لتوقف نزول القرآن بعده عليه الصلاة والسلام، فما وردنا من أخبار صحيحة قامت بها دولة المؤمنين هي من أخبار تاريخ المصحف أي تاريخ كتابة القرآن وليس تاريخ القرآن نفسه كما سبق بيانه.

وأما ما ذهب إليه المستشرقون من بحث عن القراءات الشاذة أو غيرها فهذه من تاريخ مذاهب القراء السبعة أو الثمانية أو العشرة أو الأربعة عشر أو العشرين أو غيرها، وليست من تاريخ نزول القرآن.

الباب الثالث

مصادر علم تاريخ نزول
آيات القرآن الكريم وسوره

الفصل الأول : علم ترتيب التنـــزيل

الفصل الثاني: علم أول ما نزل وآخره

الفصل الثالث: علم المكي والمدني

الفصل الرابع: علم أسباب النـــزول

الفصل الخامس: علم الناسخ والمنسوخ

الفصل السادس: علم مناسبات النـــزول

الفصل السابع: علم التفسير والحديث

الفصل الثامن: علم المغازي والسير والتاريخ

الفصل التاسع : علم الرجال والتراجم والأعلام

الفصل الأول

علم ترتيب النـــزول

كـــان اهتمام علماء المسلمين بذكر ترتيب نزول القرآن بحسب تاريخ النـــزول مـــبكراً جـــداً حيـــث وردت روايات الترتيب عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وســـوف نستعرض عددا من الترتيبات التاريخية، اخترنا نسبتها إلى أصحاب الكتب الذين رووها، وقد يرى غيرنا نسبتها إلى من رويت عنهم.

الترتيب الأول : الزهري

أول تـــرتيب مـــتوفر بين أيدينا مذكور في كتاب (تنـــزيل القرآن الكريم بمكة والمديـــنة) لمؤلفه المحدث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى سنة (١٢٤هـ)، وهو مطبوع مع كتاب الناسخ والمنسوخ للزهري [١].

الكتاب من رواية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (تنـــزيل القرآن بمكة والمدينة):

قـــال أبـــو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد السلمي حدثنا ابراهيم ابن الحسين بن علي الهمذاني حدثنا أبو يزيد الهذلي ثنا الوليد بن محمد الموقري قال حدثنا محمـــد بن مسلم الزهري قال هذا كتاب تنـــزيل القرآن وما شاء الله تعالى أن يعلم الناس ما أنزل بمكة وما أنزل منه بالمدينة.

فأول ما أنزل الله بمكة:

١ ـــ اقرأ باسم ربك الذي خلق ،٢ ـــ ثم سورة نون ، ٣ ـــ ثم يا أيها المزمل ، ٤ ـــ ثم يـــا أيهـــا المدثر ، ٥ ـــ ثم سورة تبت يدا أبي لهب، ٦ ـــ ثم إذا الشمس

(١) جزء من كتاب: نصوص محققة في علوم القرآن الكريم، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، نشر جامعة بغداد.

كورت ، ٧ ـــ ثم سورة سبح اسم ربك ، ٨ ـــ ثم سورة والليل إذا يغشى ، ٩ ـــ ثم سـورة والفجر ، ١٠ ـــ ثم سورة والضحى ، ١١ ـــ ثم سورة ألم نشرح ، ١٢ ـــ ثم سـورة و العاديات ، ١٣ ـــ ثم سورة والعصر ، ١٤ ـــ ثم سورة إنا أعطيناك الكوثـر ، ١٥ ـــ ثم سـورة ألهاكم التكاثر ، ١٦ ـــ ثم سورة أرأيت ، ١٧ ـــ ثم سورة قل يا أيها الكافرون ، ١٨ ـــ ثم سورة الفيل ، ١٩ ـــ ثم سورة الفلق ، ٢٠ ـــ ثم سورة الناس ، ٢١ ـــ ثم سورة الإخلاص ، ٢٢ ـــ ثم سورة والنجم ، ٢٣ ـــ ثم سورة عبس ، ٢٤ ـــ ثم سورة إنا أنزلناه ، ٢٥ ـــ ثم سورة والشمس وضحاها ، ٢٦ ـــ ثم سـورة الـبروج ، ٢٧ ـــ ثم سورة والتين والزيتون ، ٢٨ ـــ ثم سورة لإيلاف ، ٢٩ ـــ ثم سورة القارعة ، ٣٠ ـــ ثم سورة لا أقسم بيوم القيامة ، ٣١ ـــ ثم سورة والمرسلات ، ٣٢ ـــ ثم سورة ق والقرآن المجيد ، ٣٣ ـــ ثم سورة الهمزة ، ٣٤ ـــ ثم سـورة اقتربت الساعة ، ٣٥ ـــ ثم سورة لا أقسم بهذا البلد، ٣٦ ـــ ثم سـورة الطارق ، ٣٧ ـــ ثم سورة ص ، ٣٨ ـــ ثم سورة المص ، ٣٩ ـــ ثم سورة الجـن ، ٤٠ ـــ ثم سورة يس ، ٤١ ـــ ثم سورة الفرقان ، ٤٢ ـــ ثم سورة فاطر ، ٤٣ ـــ ثم سورة كهيعص ، ٤٤ ـــ ثم سورة طه ، ٤٥ ـــ ثم سورة الواقعة ، ٤٦ ـــ ثم سـورة الشعراء ، ٤٧ ـــ ثم سورة النمل ، ٤٨ ـــ ثم سورة القصص ، ٤٩ ـــ ثم سـورة بني اسرائيل ، ٥٠ ـــ ثم سورة يونس ، ٥١ ـــ ثم سورة هود ، ٥٢ ـــ ثم سـورة يوسـف ، ٥٣ ـــ ثم سورة الحجر ، ٥٤ ـــ ثم سورة الأنعام ، ٥٥ ـــ ثم سـورة والصـافات ، ٥٦ ـــ ثم سورة لقمان ، ٥٧ ـــ ثم سورة سبأ ، ٥٨ ـــ ثم سـورة الزمـر ، ٥٩ ـــ ثم سـورة حـم المؤمن (غافر) ، ٦٠ ـــ ثم حم السجدة (فصلت) ، ٦١ ـــ ثم حم عسق (الشورى) ، ٦٢ ـــ ثم حم الزخرف ، ٦٣ ـــ ثم حـم الدخـان ، ٦٤ ـــ ثم حـم الجاثية ، ٦٥ ـــ ثم حم الاحقاف ، ٦٦ ـــ ثم والذاريات ، ٦٧ ـــ ثم الغاشية ، ٦٨ ـــ ثم سورة الكهف ، ٦٩ ـــ ثم النحل ، ٧٠

ـــ ثم سورة نوح، ٧١ ـــ ثم سورة إبراهيم ، ٧٢ ـــ ثم سورة الأنبياء ، ٧٣ ـــ ثم سورة المؤمنون ، ٧٤ ـــ ثم سورة تنزيل السجدة ، ٧٥ ـــ ثم سورة الطور ، ٧٦ ـــ ثم سورة الملك ، ٧٧ ـــ ثم سورة الحاقة ، ٧٨ ـــ ثم سورة سأل سائل ، ٧٩ ـــ ثم سورة عم يتساءلون ، ٨٠ ـــ ثم سورة النازعات ، ٨١ ـــ ثم سورة الانفطار ، ٨٢ ـــ ثم سورة الانشقاق ، ٨٣ ـــ ثم سورة الروم ، ٨٤ ـــ ثم سورة العنكبوت ، ٨٥ ـــ ثم سورة المطففين.

ثم يأتي ما أنزل بالمدينة: فعدد ما أنزل بمكة خمس وثمانون سورة وعدد ما أنزل بالمدينة تسع وعشرون سورة وهي هذه :

١ ـــ فأول ما أنزل بالمدينة الفاتحة ، ٢ ـــ ثم سورة البقرة ، ٣ ـــ ثم سورة الأنفال ، ٤ ـــ ثم سورة آل عمران ، ٥ ـــ ثم سورة الأحزاب ، ٦ ـــ ثم سورة الممتحنة ، ٧ ـــ ثم سورة النساء ، ٨ ـــ ثم سورة إذا زلزلت ، ٩ ـــ ثم سورة الحديد ، ١٠ ـــ ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ١١ ـــ ثم سورة الرعد ، ١٢ ـــ ثم سورة الرحمن ، ١٣ ـــ ثم سورة هل أتى على الإنسان ، ١٤ ـــ ثم سورة الطلاق ، ١٥ ـــ ثم سورة لم يكن ، ١٦ ـــ ثم سورة الحشر، ١٧ ـــ ثم سورة النصر ، ١٨ ـــ ثم سورة النور ، ١٩ ـــ ثم سورة الحج ، ٢٠ ـــ ثم سورة إذا جاءك المنافقون ، ٢١ ـــ ثم سورة المجادلة ، ٢٢ ـــ ثم سورة الحجرات ، ٢٣ ـــ ثم سورة التحريم ، ٢٤ ـــ ثم سورة الجمعة ، ٢٥ ـــ ثم سورة التغابن ، ٢٦ ـــ ثم سورة الصف ، ٢٧ ـــ ثم سورة الفتح ، ٢٨ ـــ ثم سورة المائدة ، ٢٩ ـــ ثم سورة التوبة وهي آخر ما نزل من القرآن.

وكان إذا نزلت سورة بمكة كتبت بمكة.

وآخر ما نزلت هذه الآية قوله تعالى : { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم }.

ولعل هذا الترتيب من أرجح ما نقل، سوى ما يتعلق بسورة الفاتحة والله أعلم.

الترتيب الثاني: ابن الضريس

ترتيب أبي عبدالله محمد بن أيوب ابن الضريس المتوفى سنة ٢٩٤ هـ في كتابه(فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة) [١].

قال ابن الضريس: أخبرنا أحمد، قثنا محمد بن عبدالله بن جعفر الرازي قال: قال عمر بن هارون: قثنا عثمان بن عطاء، عن ابيه، عن ابن عباس قال: أول ما نزل من القرآن بمكة وما نزل منه بالمدينة الأول فالأول، فكانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما يشاء.

وكان أول ما نزل من القرآن :

(١) (اقرأ باسم ربك)، (٢) ثم (ن والقلم)، (٣) ثم (يا أيها المزمل)، (٤) ثم (يا أيها المدثر)، (٥) ثم (تبت يدا أبي لهب)، (٦) ثم (إذا الشمس كورت)، (٧) ثم (سبح اسم ربك الأعلى)، (٨) ثم (والليل اذا يغشى)، (٩) ثم (والفجر)، (١٠) ثم (والضحى)، (١١) ثم (الم نشرح)، (١٢) ثم (والعصر)[٢]، (١٣) ثم (والعاديات)، (١٤) ثم (انا أعطيناك الكوثر)، (١٥) ثم (ألهاكم التكاثر)، (١٦) ثم (أرأيت الذي يكذب)، (١٧) ثم (قل يا أيها الكافرون)، (١٨) ثم سورة (ألم تر كيف فعل ربك)، (١٩) ثم (قل أعوذ برب الفلق)، (٢٠) ثم (قل أعوذ برب

---

(١) ابن الضريس: فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، تحقيق غزوة بدير، نشر دار الفكر دمشق سورية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

(٢) في ترتيب الزهري السابق كانت سورة العاديات قبل العصر.

الـــناس)، (٢١) ثم (قل هو الله أحد)، (٢٢) ثم (والنجم اذا هوى)، (٢٣) ثم (عبس وتولى)، (٢٤) ثم (إنا أنزلناه في ليلة القدر)، (٢٥) ثم (والشمس وضحاها)، (٢٦) ثم (والســـماء ذات الـــبروج)، (٢٧) ثم (والتين والزيتون)، (٢٨) ثم (لإيلاف قريش)، (٢٩) ثم (القارعة)، (٣٠) ثم (لا أقسم بيوم القيامة)، (٣١) ثم ويـــل لكـــل همزة [١]، (٣٢) ثم المرسلات، (٣٣) ثم (ق والقرآن)، (٣٤) ثم (لا أقسم بهذا البلد)، (٣٥) ثم (والسماء والطارق)، (٣٦) ثم (اقتربت الساعة)[٢]، (٣٧) ثم (ص والقرآن)، (٣٨) ثم الأعراف، (٣٩) ثم (قل أوحي)، (٤٠) ثم (يـــس والقرآن)، (٤١) ثم الفرقان، (٤٢) ثم الملائكة[٣]، (٤٣) ثم (كهيعص) [٤]، (٤٤) ثم طه، (٤٥) ثم الواقعة، (٤٦) ثم طسم الشعراء، (٤٧) ثم طس النمل، (٤٨) ثم طسم القصص، (٤٩) ثم بني إسرائيل[٥]، (٥٠) ثم يونس، (٥١) ثم هود، (٥٢) ثم يوسف، (٥٣) ثم الحجر، (٥٤) ثم الأنعام، (٥٥) ثم الصافات، (٥٦) ثم لقمان، (٥٧) ثم سبأ، (٥٨) ثم الزمر، (٥٩) ثم حم المؤمن[٦]، (٦٠) ثم حم السجدة [٧]، (٦١) ثم حم عسق[٨]، (٦٢) ثم حم الزخرف، (٦٣) ثم حم الدخان، (٦٤) ثم حم

---

(١) في ترتيب الزهري السابق في الترتيب (٣١) سورة المرسلات ثم سورة (ق)(٣٢) ثم سورة الهمزة (٣٣)، ثم سورة القمر (٣٤) ثم سورة البلد (٣٥)، ثم سورة الطارق (٣٦).

(٢) وهي سورة القمر.

(٣) واسمها أيضا سورة فاطر.

(٤) سورة مريم.

(٥) واسمها أيضا سورة الإسراء.

(٦) واسمها أيضا سورة غافر.

(٧) واسمها أيضا سورة فصلت.

(٨) واسمها أيضا سورة الشورى.

الجاثية، (٦٥) ثم حم الأحقاف، (٦٦) ثم (الذاريات)، (٦٧) ثم هل أتاك حديث الغاشــية، (٦٨) ثم الكهف، (٦٩) ثم النحل، (٧٠) ثم (إنا أرسلنا نوحاً)، (٧١) ثم ســورة إبراهــيم، (٧٢) ثم الأنــبياء، (٧٣) ثم المؤمــنون، (٧٤) ثم (تــنــزيل السجدة)[١]، (٧٥) ثم (والطور)، (٧٦) ثم تبارك الملك، (٧٧) ثم (الحاقة)، (٧٨) ثم (ســأل سائل)[٢]، (٧٩) ثم (عم يتساءلون)[٣]، (٨٠) ثم (النازعات)، (٨١) ثم (اذا الســماء انفطرت)[٤]، (٨٢) ثم (اذا السماء انشقت)[٥]، (٨٣) ثم (الروم)، (٨٤) ثم (العنكبوت)، (٨٥) ثم (ويل للمطففين).

فهذا ما أنزل الله عز وجل بمكة وهي خمس وثمانون سورة.

ثم أنزل بالمدينة سورة:[٦]

(١) الــبقرة، (٢) ثم الأنفــال، (٣) ثم آل عمــران، (٤) ثم الأحزاب، (٥) ثم الممتحنة، (٦) ثم النساء، (٧) ثم (إذا زلزلت)[٧]، (٨) ثم الحديد، (٩) ثم محمد، (١٠) ثم الرعد، (١١) ثم الرحمن، (١٢) ثم (هل أتى على الإنسان)[٨]، (١٣) ثم يا أيهــا النبي إذا طلقتم [٩]، (١٤) ثم (لم يكن)[١]، (١٥) ثم الحشر، (١٦) ثم (إذا

---

(١) واسمها أيضا سورة السجدة.

(٢) واسمها أيضا سورة المعارج.

(٣) واسمها أيضا سورة النبأ.

(٤) وهي سورة الانفطار.

(٥) وهي سورة الانشقاق.

(٦) في الترتيب الأول عند الزهري سورة الفاتحة.

(٧) وهي سورة الزلزلة

(٨) وهي سورة الإنسان.

(٩) سورة الطلاق

جاء نصر الله)، (١٧) ثم النور، (١٨) ثم الحج ، (١٩) ثم المنافقون، (٢٠) ثم المجادلة، (٢١) ثم الحجرات، (٢٢) ثم (يا أيها النبي لم تحرم)[٢]، (٢٣) ثم الجمعة، (٢٤) ثم التغابن، (٢٥) ثم الحواريون[٣]، (٢٦) ثم الفتح، (٢٧)ثم المائدة، (٢٨) ثم التوبة.

فذلك ثمان وعشرون سورة، فجميع القرآن مائة سورة وثلاث عشرة سورة).

قلنا: يلاحظ أن ابن الضريس لم يذكر سورة الفاتحة، وبها يكون المجموع مئة وأربع عشرة سورة كما هو في المصحف الإمام.

الترتيب الثالث : ابن النديم

ترتيب أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق ابن النديم (٣٨٠ هـ)

قال ابن النديم: (باب نزول القرآن بمكة والمدينة وترتيب نزوله :

حدثني أبو الحسن محمد بن يوسف قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن غالب قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن الحجاج المديني قدم من المدينة سنة تسع وتسعين ومائتين قال حدثنا بكر بن عبد الوهاب المديني قال حدثني الواقدي محمد بن عمر قال حدثنا معمر بن راشد عن الزهري [٤] عن محمد بن نعمان بن بشير قال أول ما نزل من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(١) وهي سورة البينة.

(٢) وهي سورة التحريم.

(٣) سورة الصف.

(٤) نلاحظ أن الزهري صاحب الترتيب الأول في سند ترتيب ابن النديم يروي عن محمد بن النعمان بن بشيرَ و لم يذكر ابن النعمان في الترتيب الأول، والاختلاف بين الترتيبين يسير.

١ ــ اقــرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله علم الإنسان ما لم يعلم، [١]، ٢ــ ثم يا أيهــا المزمل وآخرها بطريق مكة، ٣ــ ثم المدثر، وروى عن مجاهد قال نزلت: ٤ــ تبت يدا أبي لهب، ٥ ــ ثم إذا الشمس كورت، ٦ــ ثم سبح اسم ربك الأعلى، ٧ ــ ثم ألم نشــرح لــك صدرك [٢]، ٨ ــ ثم والعصر، ٩ ــ ثم والفجر، ١٠ ــ ثم والضــحى، ١١ ــ ثم والــليل، ١٢ــ ثم والعاديات ضبحا، ١٣ــ ثم إنا أعطيناك الكوثــر، ١٤ــ ثم ألهــاكم الــتكاثر، ١٥ــ ثم أرأيت الذي، ١٦ــ ثم قل يا أيها الكافرون، ١٧ ــ ثم (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)، ١٨ ــ ثم (قل هو الله أحــد)، ١٩ ــ ثم (قل أعوذ برب الفلق)، ٢٠ ــ ثم (قل أعوذ برب الناس) ويقال أنها مدنية، ٢١ ــ ثم والنجم، ٢٢ ــ ثم (عبس وتولى)، ٢٣ــ ثم (إنا أنزلناه)، ٢٤ ــ ثم والشمس وضحاها، ٢٥ ــ ثم والسماء ذات البروج، ٢٦ ــ ثم والتين والزيــتون، ٢٧ ــ ثم لإيلاف قريش، ٢٨ ــ ثم القارعة، ٢٩ ــ ثم لا أقسم بيوم القيامة، ٣٠ ــ ثم ويل لكل همزة، ٣١ــ ثم والمرسلات، ٣٢ ــ ثم ق والقرآن، ٣٣ ــ ثم لا أقســم بهذا البلد، ٣٤ ــ ثم الرحمن[٣]، ــ ٣٥ ــ ثم قل أوحي، ٣٦ــ ثم يــس، ٣٧ ــ ثم المص [٤] ، ٣٨ ــ ثم تبارك الذي نزل الفرقان، ٣٩ ــ ثم سورة الملائكــة، ٤٠ ــ ثم الحمد لله فاطر، ٤١ ــ ثم سورة مريم، ٤٢ ــ ثم سورة طه، ٤٣ ــ ثم إذا وقعت الواقعة، ٤٤ ــ ثم طسم الشعراء، ٤٥ ــ ثم طس [٥]، ٤٦ ــ

---

(١) لم يذكر ابن النديم ترتيب سورة القلم في السور المكية ولا المدنية وهذا سقط.

(٢) في ترتيب الزهري سورة الشرح في الترتيب (١١)

(٣) ســورة الرحمن في ترتيب الزهري وابن الضريس مدنية، والأصل أن يكون في هذا الترتيب سورة ص.

(٤) سورة الأعراف.

(٥) سورة النمل.

ثم طسم الآخرة [(١)]، ٤٧ ــ ثم سورة بني إسرائيل [(٢)]، ٤٨ ــ ثم سورة هود، ٤٩ ــ ثم سورة يوسف، ٥٠ ــ ثم سورة يونس، ٥١ ــ ثم سورة الحجر، ٥٢ ــ ثم سورة والصافات، ٥٣ ــ ثم سورة لقمان آخرها مدني، ٥٤ ــ ثم سورة قد أفلح المؤمنون، ٥٥ ــ ثم سبأ، ٥٦ ــ ثم سورة الأنبياء، ٥٧ ــ ثم سورة الزمر، ٥٨ ــ ثم سورة حم المؤمن، ٥٩ ــ ثم سورة حم السجدة، ٦٠ ــ ثم سورة حم عسق [(٣)]، ٦١ ــ ثم حم الزخرف، ٦٢ ــ ثم حم الدخان، ٦٣ ــ ثم حم الشريعة ، ٦٤ ــ ثم حم الأحقاف فيها آي مدني، ٦٥ ــ ثم الذاريات، ٦٦ ــ ثم هل أتاك حديث الغاشية، ٦٧ ــ ثم سورة الكهف آخرها مدني، ٦٨ ــ ثم الأنعام فيها آي مدني، ٦٩ ــ ثم سورة النحل آخرها مدني، ٧٠ ــ ثم سورة نوح، ٧١ ــ ثم سورة إبراهيم، ٧٢ ــ ثم سورة السجدة، ٧٣ ــ ثم والطور، ٧٤ ــ ثم تبارك الذي بيده الملك، ٧٥ ــ ثم الحاقة، ٧٦ ــ ثم سأل سائل، ٧٧ ــ ثم عم يتساءلون، ٧٨ــ ثم والنازعات، ٧٩ ــ ثم إذا السماء انفطرت، ٨٠ ــ ثم إذا السماء انشقت، ٨١ ــ ثم الروم، ٨٢ ــ ثم العنكبوت، ٨٣ ــ ثم ويل للمطففين ويقال إنها مدنية، ٨٤ ــ ثم اقتربت الساعة وانشق القمر، ٨٥ ــ ثم والسماء والطارق [(٤)].

قال حدثني الثوري عن فراس عن الشعبي قال نزلت النحل بمكة إلا هؤلاء الآيات {وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به}.

---

(١) سورة القصص.

(٢) سورة الإسراء.

(٣) سورة الشورى.

(٤) مجموع ما سبق خمس وثمانون سورة وذلك لأنه لم يذكر سورة القلم ولم يذكر سورة (ص) وذكر سورة الرحمن كما سبق ذكره.

وحدث ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال نزلت بمكة **خمس وثمانون** سورة ونزل بالمدينة **ثمان وعشرون** سورة : نزل بالمدينة:

١ ــ البقرة، ٢ــ ثم الأنفال، ٣ ــ ثم الأحزاب [١]، ٤ــ ثم آل عمران، ٥ ــ ثم الممتحنة، ٦ ــ ثم النساء، ٧ ــ ثم إذا زلزلت، ٨ ــ ثم الحديد، ٩ ــ (ثم الذين كفروا) [٢]، ١٠ــ ثم الرعد، ١١ ــ ثم (هل أتى على الإنسان)، ١٢ ــ ثم (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) [٣]، ١٣ ــ ثم (لم يكن الذين كفروا) [٤]، ١٤ ــ ثم الحشر، ١٥ ــ ثم إذا جاء نصر الله والفتح، ١٦ ــ ثم النور، ١٧ ــ ثم الحج، ١٨ ــ ثم المنافقون، ١٩ ــ ثم المجادلة، ٢٠ ــ ثم الحجرات،٢١ ــ ثم (يا أيها النبي لم تحرم) [٥]، ٢٢ــ ثم الجمعة، ٢٣ ــ ثم التغابن، ٢٤ ــ ثم الحواريين [٦]، ٢٥ ــ ثم الفتح ، ٢٦ ــ ثم المائدة ، ٢٧ ــ ثم التوبة.

ويقال نزلت المعوذات بالمدينة ثم سائر القرآن) [٧].

نلاحظ في ترتيب ابن النديم المجموع (١١٢) لأنه لم يذكر سورة القلم وسورة ص، وهذا خطأ من النساخ لأنه يذكر في الرواية أن ما نزل في مكة خمس وثمانون سورة وما نزل في المدينة ثمان وعشرون سورة فالمجموع (١١٣) والسبب عدم تحديد مكان نزول سورة الفاتحة كما عند ابن الضريس.

---

(١) هنا ورد في الترتيب سورة الأعراف وهو ما سبق ذكره من خطأ في ترتيب في كتاب الزهري، مما يرجح أن النديم أخذ ترتيبه عن الزهري وغيره.

(٢) سورة محمد (القتال).

(٣) سورة الطلاق.

(٤) سورة البينة.

(٥) سورة التحريم.

(٦) سورة الصف.

(٧) كتاب الفهرست للنديم ٢٨ ، تحقيق رضا ــ تجدد طهران، ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م.

الترتيب الرابع : الماوردي

ترتيب أبي الحسن الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) في تفسيره:

قال الماوردي:(وإذا كانت **هذه أول سورة نزلت** [سورة العلق] على الرسول صلى الله عليه وسلم، في قول الأكثرية فقد روى في ترتيب السور بمكة والمدينة أحاديث، أوفاها ما رواه آدم بن أبي أناس عن أبي شيبة شعيب بن زريق عن عطاء الخراساني قال:بلغنا أن هذا ما نزل من القرآن بمكة والمدينة الأول فالأول، فكان أول ما نزل فيما بلغنا" ١ ــ اقرأ باسم ربك" ٢ ــ ثم (ن والقلم)، ٣ ــ المزمل، ٤ ــ المدثر، ٥ ــ تبت، ٦ ــ إذا الشمس كورت، ٧ ــ سبح اسم ربك، ٨ ــ الليل، ٩ ــ الفجر، ١٠ ــ الضحى، ١١ ــ ألم نشرح، ١٢ ــ العصر، ١٣ ــ العاديات، ١٤ ــ الكوثر، ١٥ ــ ألهاكم، ١٦ ــ أرأيت، ١٧ ــ الكافرون، ١٨ ــ الفيل، ١٩ ــ الفلق، ٢٠ ــ الإخلاص، ٢١ ــ النجم، ٢٢ ــ عبس، ٢٣ ــ القدر، ٢٤ ــ والشمس، ٢٥ ــ البروج، ٢٦ ــ التين، ٢٧ ــ لإيلاف، ٢٨ ــ القارعة، ٢٩ ــ القيامة، ٣٠ ــ الهمزة، ٣١ ــ المرسلات، ٣٢ ــ ق، ٣٣ ــ البلد، ٣٤ ــ الطارق، ٣٥ ــ القمر، ٣٦ ــ ص، ٣٧ ــ الأعراف، ٣٨ ــ قل أوحي، ٣٩ ــ يس، ٤٠ ــ الفرقان، ٤١ ــ الملائكة (فاطر)، ٤٢ ــ مريم، ٤٣ ــ طه، ٤٤ ــ الواقعة، ٤٥ ــ الشعراء، ٤٦ ــ النمل، ٤٧ ــ القصص، ٤٨ ــ بنو إسرائيل (الإسراء)، ٤٩ ــ يونس، ٥٠ ــ هود، ٥١ ــ يوسف، ٥٢ ــ الحجر، ٥٣ ــ الأنعام، ٥٤ ــ الصافات، ٥٥ ــ لقمان، ٥٦ ــ سبأ، ٥٧ ــ الزمر، ٥٨ ــ المؤمن (غافر)، ٥٩ ــ حم السجدة، ٦٠ــ (فصلت)، ٦١ ــ عسق (الشورى)، ٦٢ ــ الزخرف، ٦٣ ــ الدخان، ٦٤ ــ الجاثية، ٦٥ ــ الأحقاف، ٦٦ ــ الذاريات، ٦٧ ــ الغاشية، ٦٨ ــ الكهف، ٦٩ ــ النحل، ٧٠ ــ نوح، ٧١ ــ إبراهيم، ٧٢ ــ الأنبياء، ٧٣ ــ قد أفلح (المؤمنون)، ٧٤ ــ السجدة، ٧٥ ــ

الطور، ٧٦ ـــ الملك، ٧٧ ـــ الحاقة، ٧٨ ـــ سأل، ٧٩ ـــ النبأ، ٨٠ ـــ النازعات، ٨١ ـــ الانفطـــار، ٨٢ ـــ الانشـــقاق، ٨٣ ـــ الروم، ٨٤ ـــ العنكبوت، ٨٥ ـــ المطففين. فهذه خمس وثمانون سورة **نزلت بمكة**.

وكان فيما نزل بالمدينة : ١ ـــ البقرة، ٢ ـــ ثم الأنفال، ٣ ـــ آل عمران، ٤ ـــ الأحـــزاب، ٥ ـــ الممتحنة، ٦ ـــ النساء، ٧ ـــ الزلزلة، ٨ ـــ الحديد، ٩ ـــ سورة محمد، ١٠ ـــ الرعد، ١١ ـــ الرحمن، ١٢ ـــ هل أتى، ١٣ ـــ الطلاق، ١٤ ـــ لم يكن، ١٥ ـــ الحشر، ١٦ ـــ النصر، ١٧ ـــ النور، ١٨ ـــ الحج، ١٩ ـــ المنافقون، ٢٠ ـــ المجادلـــة، ٢١ ـــ الحجـــرات، ٢٢ ـــ التحريم، ٢٣ ـــ الجمعة [١]، ٢٤ ـــ الصف، ٢٥ ـــ الفتح، ٢٦ ـــ المائدة، ٢٧ ـــ براءة.

فهـــذه سبع وعشرون **نزلت** بالمدينة و لم تكن الفاتحة والله أعلم ضمن ما ذكره، وقـــد اختلف الناس في نزول السور اختلافا كثيرا، لكن وجدت هذا الحديث أوفى وأشفى فذكرته)([٢]).

نلاحـــظ مجمـــوع ما في هذا الترتيب (٨٥+٢٧= ١١٢)، لأنه لم يذكر الفاتحة و لم يذكر سورة التغابن وهذا من السهو في الترتيب.

الترتيب الخامس : البيهقي

تـــرتيب الـــبيهقي (ت ٤٥٨هـ) في كـــتابه دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وقد ذكره السيوطي، في كتابه الإتقان في علوم القرآن [٣].

قال البيهقي [١]: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، قال أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل، حدثـــنا محمد بن إسحاق، قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقي قال: حدثنا أحمد

---

(١) لم يذكر الماوردي بعد سورة الجمعة سورة التغابن.

(٢) الماوردي : تفسير الماوردي ٤ /٤٨٨.

(٣) السيوطي : الإتقان ١ / ٢٩.

بن نصر بن مالك الخزاعي قال: حدثنا علي بن الحسن بن واقد عن أبيه قال: حدثني يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قالا أنزل الله من القرآن بمكة: (١) (اقــرأ باسم ربك)، (٢) و ن ، (٣) و المزمل ، (٤) و المدثر ، (٥) و (تبت يدا أبي لهب) ، (٦) و (إذا الشمس كورت) ، (٧) و (سبح اسم ربك الأعلى)، (٨) (الليل إذا يغشى)، (٩) (والفجر)، (١٠) (والضحى)، (١١) و (ألم نشرح)، (١٢) (والعصر)، (١٣) (والعاديات)، (١٤) والكوثر ، (١٥) و (ألهاكم)، (١٦) و(أرأيت)، (١٧) و (قل يا أيها الكافرون)، (١٨) وأصحاب الفيل ، (١٩) والفــلق، (٢٠) و (قل أعوذ برب الناس)، (٢١) و (قل هو الله أحد)، (٢٢) (والــنجم)، (٢٣) و (عبس)، (٢٤) و(إنا أنزلناه)، (٢٥) (والشمس وضحاها)، (٢٦) و (والســماء ذات الــبروج)، (٢٧) و (والتين والزيتون)، (٢٨) و (لإيلاف قريش)، (٢٩) و (القارعة)، (٣٠) و (لا أقسم بيوم القيامة)، (٣١) و (والهمزة)، (٣٢) (والمرسلات)، (٣٣) و (ق)، (٣٤) و (لا أقسم بهذا البلد)، (٣٥) (والسماء والطارق)، (٣٦) (اقتربت الساعة)، (٣٧) (ص)، (٣٨) [٢]، (٣٩) و (قــل أوحــي)، (٤٠) و (يــس)، (٤١) و (الفــرقان)، (٤٢) و (الملائكــة)[٣]، (٤٣) [٤]، (٤٤) و (طه)، (٤٥) و (الواقعة)، (٤٦) و (طسم)[٥]، (٤٧) و (طس)[٦]، (٤٨) و (طسم)[١]، (٤٩) و بني إسرائيل[٢]، (٥٠)

---

(١) البيهقي : دلائل النبوة ٧ / ١٤٢.

(٢) ترتيب سورة الأعراف ساقطة من هذا الترتيب وهذا ما سوف يشير إليه السيوطي.

(٣) واسمها أيضا سورة فاطر.

(٤) ترتيب سورة مريم ساقط من هذا الترتيب وهذا ما سوف يشير إليه السيوطي.

(٥) وهي سورة الشعراء.

(٦) سورة النمل

و التاسعة [٣]، (٥١) و هود، (٥٢) ويوسف، (٥٣) وأصحاب الحجر، (٥٤) والأنعام، (٥٥) و الصافات، (٥٦) ولقمان، (٥٧) وسبأ، (٥٨) والزمر، (٥٩) و(حم) المؤمن[٤]، (٦٠) و(حم) الدخان [٥]، (٦١) وحم السجدة ، و (٦٢) (حم) عسق[٦]، (٦٣) و(حم) الزخرف، (٦٤) والجاثية، (٦٥) و الأحقاف، (٦٦) و (الذاريات)، (٦٧) والغاشية، (٦٨) وأصحاب الكهف، (٦٩) و النحل، (٧٠) ونوح ، (٧١) وإبراهيم، (٧٢) و الأنبياء، (٧٣) و المؤمنون، (٧٤) وآلم السجدة ، (٧٥) و(والطور)، (٧٦) و (تبارك) ، (٧٧) و (الحاقة)، (٧٨) و(سأل)[٧]، (٧٩) و (عم يتساءلون)[٨]، (٨٠) و (النازعات)، (٨١) و(اذا السماء انشقت)[٩]، (٨٢) ثم (إذا السماء انفطرت) ، (٨٣) و (الروم)، (٨٤) و (العنكبوت).

وما نزل بالمدينة (١) (ويل للمطففين) (٢) والبقرة، (٣) وآل عمران ، (٤) والأنفال، (٥) والأحزاب، (٦) والمائدة ، (٧) والممتحنة، (٨) والنساء، (٩) و(إذا

(١) وهي سورة القصص.

(٢) واسمها أيضا سورة الإسراء.

(٣) والتاسعة سورة يونس كما سيأتي عن السيوطي.

(٤) واسمها أيضا سورة غافر.

(٥) في ترتيب ابن الضريس يأتي ترتيب سورة الدخان (٦٣)

(٦) واسمها أيضا سورة الشورى.

(٧) واسمها أيضا سورة المعارج.

(٨) واسمها أيضا سورة النبأ.

(٩) ترتيب سورة الانشقاق في رواية ابن عباس التالية بعد ترتيب سورة الانفطار.

زلزلت)[١]، (١٠) و الحديد، (١١) ومحمد ، (١٢) والرعد، (١٣) والرحمن، (١٤) و(هـــل أتى على الإنسان)، (١٥) و الطلاق، (١٦) و (لم يكن)[٢]، (١٧) و الحشـــر، (١٨) و (إذا جـــاء نصر الله)، (١٩) و النور، (٢٠) و الحج، (٢١) و المنافقون، (٢٢) و المجادلة، (٢٣) و الحجرات، (٢٤) و (يا أيها النبي لم تحرم)، (٢٥) و الصف، (٢٦) و الجمعة ، (٢٧) والتغابن ، (٢٨) والفتح ، (٢٩) و براءة.

قـــال الـــبيهيقي : والتاسعة يريد بها سورة يونس، وقد سقط من هذه الرواية الفاتحة والأعراف، وكهيعص، فيما نزل بمكة [٣].

الترتيب السادس: الزركشي

ترتيب بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)

أ ــــ ذكر ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه :

(١) أول ما نزل من القرآن بمكة (اقرأ باسم ربك)، (٢) ثم (ن والقلم)، (٣) ثم (يا أيها المزمل)، (٤) ثم (يا أيها المدثر)، (٥) ثم (تبت يدا أبي لهب)، (٦) ثم (إذا الشـــمس كورت)، (٧) ثم (سبح اسم ربك الأعلى)، (٨) ثم (والليل إذا يغشى)، (٩) ثم (والفجر)، (١٠) ثم (والضحى)، (١١) ثم (ألم نشرح)، (١٢) ثم (والعصر)، (١٣) ثم (والعاديات)، (١٤) ثم (إنا أعطيناك الكوثر)، (١٥) ثم (ثم ألهاكم التكاثر)، (١٦) ثم (أرأيت الذي)، (١٧) ثم (قل يا أيها الكافرون)، (١٨) ثم ســـورة الفيل، (١٩) ثم الفلق، (٢٠) ثم الناس، (٢١) ثم (قل هو الله أحـــد)، (٢٢) ثم (والنجم اذا هوى)، (٢٣) ثم (عبس وتولى)، (٢٤) ثم (إنا

(١) وهي سورة الزلزلة

(٢) وهي سورة البينة.

(٣) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ١ / ٣٠، تحقيق عصام الحرستاني ومحمد أبو صعيليك.

أنزلناه) [1]، (٢٥) ثم (والشمس وضحاها)، (٢٦) ثم (والسماء ذات البروج)، (٢٧) ثم (والتين والزيتون)،(٢٨) ثم (لإيلاف قريش)، (٢٩) ثم (القارعة)، (٣٠) ثم (لا أقسم بيوم القيامة)، (٣١) ثم الهمزة، (٣٢) ثم المرسلات، (٣٣) ثم (ق والقــرآن)، (٣٤) ثم (لا أقسم بهذا البلد)، (٣٥) ثم (والسماء والطارق)، (٣٦) ثم (اقتربت الساعة)[2]، (٣٧) ثم (ص والقرآن)، (٣٨) ثم الأعراف، (٣٩) ثم الجــن، (٤٠) ثم (يــس)، (٤١) ثم الفرقان، (٤٢) ثم الملائكة[3]، (٤٣) ثم مــريم، (٤٤) ثم طه، (٤٥) ثم الواقعة، (٤٦) ثم الشعراء، (٤٧) ثم النمل، (٤٨) ثم القصــص، (٤٩) ثم بــني إســرائيل[4]، (٥٠) ثم يونس، (٥١) ثم هود، (٥٢) ثم يوســف، (٥٣) ثم الحجر، (٥٤) ثم الأنعام، (٥٥) ثم الصافات، (٥٦) ثم لقمان، (٥٧) ثم سبأ، (٥٨) ثم الزمر، (٥٩) ثم حم المؤمن[5]، (٦٠) ثم حم السجدة [6]، (٦١) ثم حم عسق[7]، (٦٢) ثم حم الزخرف، (٦٣) ثم حم الدخان، (٦٤) ثم حم الجاثية، (٦٥) ثم حم الأحقاف، (٦٦) ثم (والذاريات)، (٦٧) ثم الغاشية، (٦٨) ثم الكهــف، (٦٩) ثم النحل، (٧٠) ثم نوح، (٧١) ثم إبراهيم، (٧٢) ثم الأنبياء، (٧٣) ثم المؤمــنون، (٧٤) ثم (الم تــنــزيل)[8]، (٧٥) ثم (والطور)، (٧٦) ثم

---

(١) وهي سورة القدر

(٢) وهي سورة القمر.

(٣) واسمها أيضا سورة فاطر.

(٤) واسمها أيضا سورة الإسراء.

(٥) واسمها أيضا سورة غافر.

(٦) واسمها أيضا سورة فصلت.

(٧) واسمها أيضا سورة الشورى.

(٨) واسمها أيضا سورة السجدة.

الملك، (٧٧) ثم (الحاقة)، (٧٨) ثم (سأل سائل)[١]، (٧٩) ثم (عم يتساءلون)[٢]،(٨٠) ثم (والنازعات)، (٨١) ثم (إذا السماء انفطرت)[٣]، (٨٢) ثم (إذا السماء انشقت)[٤]، (٨٣) ثم الروم.

قال الزركشي بعد ترتيب سورة الروم : (واختلفوا في آخر ما نزل بمكة، فقال ابن عباس : العنكبوت، وقال الضحاك وعطاء : المؤمنون، وقال مجاهد: (ويل للمطففين).

فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة، وعليه استقرت الرواية من الثقات، وهي خمس وثمانون سورة) [٥]. (٨٤) العنكبوت، (٨٥) المطففين.

ب ــ ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة

(٨٦) فأول ما نزل فيها : سورة البقرة، (٨٧) ثم الأنفال، (٨٨) ثم آل عمران، (٨٩) ثم الأحزاب، (٩٠) ثم الممتحنة، (٩١) ثم النساء، (٩٢) ثم (اذا زلزلت)[٦]، (٩٣) ثم الحديد، (٩٤) ثم محمد، (٩٥) ثم الرعد، (٩٦) ثم الرحمن، (٩٧) ثم (هل أتى)[٧]، (٩٨) ثم الطلاق، (٩٩) ثم (لم يكن)[٨]، (١٠٠) ثم الحشر، (١٠١)ثم

---

(١) واسمها أيضا سورة المعارج.

(٢) واسمها أيضا سورة النبأ.

(٣) وهي سورة الانفطار.

(٤) وهي سورة الانشقاق.

(٥) الزركشي : البرهان، ١ / ١٩٤.

(٦) وهي سورة الزلزلة

(٧) وهي سورة الإنسان.

(٨) وهي سورة البينة.

(إذا جاء نصر الله)([1])، (١٠٢) ثم النور، (١٠٣) ثم الحج، (١٠٤) ثم المنافقون، (١٠٥) ثم المجادلـــة، (١٠٦) ثم الحجرات، (١٠٧) ثم (يا أيها النبي لم تحرم)([2])، (١٠٨) ثم الصف ، (١٠٩) ثم الجمعة، (١١٠) ثم التغابن، (١١١) الفتح، (١١٢) ثم التوبة، (١١٣)ثم المائدة)([3]).

ومن الملاحظ أن هذا الترتيب مختلف بعض الشيء عمن سبقه وبخاصة في ترتيب بعـــض السور المدنية، وسوف نبحث ذلك إن شاء الله في موضعه، والملاحظة الأهم أنه لم يذكر سورة الفاتحة، ولذلك كان مجموع سوره (١١٣) سورة.

مـــن الملاحظ على ما سبق من أقوال في ترتيب النـــزول أنهم لا يذكرون ترتيب نزول سورة الفاتحة باستثناء ترتيب الزهري الذي جعلها أول سورة نزلت في المدينة([4])، ثم بحســـب جمع ابن عباس من أن (٨٥) سورة نزلت بمكة و(٢٨) نزلت بالمدينة فإن المجموع (١١٣) سورة وذلك لعدم ذكره سورة الفاتحة أيضا في ترتيبه.

ومـــن الملاحـــظ أيضاً وجود اختلافات يسيرة في ترتيب كل السور، مما يعني أن المســـألة اجتهادية ومختلف عليها في قليل من المواضع ومتفق عليها في مواضع كثيرة، فمـــن المواضـــع المختلف عليها كثيرا ترتيب نزول سورة الفاتحة وهل نزلت بمكة أو المدينة.

الترتيب السابع : السيوطي

(١) هنا جاء ترتيب سورة النصر في ترتيب الزركشي.

(٢) وهي سورة التحريم.

(٣) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١ / ١٩٤.

(٤) في الترتيب اللاحق يجعل جابر بن زيد ترتيب سورة الفاتحة الخامس.

قال السيوطي (ت ٩١١هـ): (وقال أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض في جزئه المشهور: حدثنا أبو العباس عبيدالله بن محمد بن أعين البغدادي، قال: حدثنا حسان بن إبراهيم الكرماني، قال: حدثنا أمية الأزدي عن جابر بن زيد، قال:

أول ما أنزل الله من القرآن بمكة :

(١) (اقرأ باسم ربك)، (٢) ثم (ن والقلم)، (٣) ثم (يا أيها المزمل)، (٤) ثم (يا أيها المدثر)، (٥) ثم الفاتحة، (٦) ثم (تبت يدا أبي لهب)، (٧) ثم (إذا الشمس كورت)، (٨) ثم (سبح اسم ربك الأعلى)، (٩) ثم (والليل إذا يغشى)، (١٠) ثم (والفجر)، (١١) ثم (والضحى)، (١٢) ثم (ألم نشرح)، (١٣) ثم (والعصر)، (١٤) ثم (والعاديات)، (١٥) ثم (انا أعطيناك)، (١٦) ثم (ألهاكم التكاثر)، (١٧) ثم (ارأيت الذي يكذب)، (١٨) ثم (الكافرون)، (١٩) ثم سورة (ألم تر كيف)، (٢٠) ثم (قل أعوذ برب الفلق)، (٢١) ثم (قل أعوذ برب الناس)، (٢٢) ثم (قل هو الله أحد)، (٢٣) ثم (والنجم)، (٢٤) ثم (عبس)، (٢٥) ثم (إنا أنزلناه)، (٢٦) ثم (والشمس وضحاها)، (٢٧) ثم (البروج)، (٢٨) ثم (التين)، (٢٩) ثم (لإيلاف)، (٣٠) ثم (القارعة)، (٣١) ثم (القيامة)، (٣٢) ثم (ويل لكل همزة)، (٣٣) ثم (المرسلات)، (٣٤) ثم (ق)، (٣٥) ثم (البلد)، (٣٦) ثم (الطارق)، (٣٧) ثم (اقتربت الساعة)، (٣٨) ثم (ص)، (٣٩) ثم (الأعراف)، (٤٠) ثم (الجن)، (٤١) ثم (يس)، (٤٢) ثم (الفرقان)، (٤٣) ثم (الملائكة)[1]، (٤٤) ثم (كهيعص) [2]، (٤٥) ثم (طه)، (٤٦) ثم (الواقعة)، (٤٧) ثم (الشعراء)، (٤٨) ثم (طس سليمان) [3]، (٤٩) ثم (طسم القصص) ، (٥٠)

---

(١) واسمها أيضا سورة فاطر.

(٢) سورة مريم.

(٣) سورة النمل

ثم بني إسرائيل[1]، (٥١) ثم التاسعة ـــ يعني يونس (٥٢) ثم هود، (٥٣) ثم يوسف، (٥٤) ثم الحجـــر، (٥٥) ثم الأنعام، (٥٦) ثم الصافات، (٥٧) ثم لقمان، (٥٨) ثم سبأ، (٥٩) ثم الزمر، (٦٠) ثم (حم المؤمن)[2]، (٦١) ثم (حم السجدة) ، (٦٢) ثم (حم الزخرف) ، (٦٣) ثم (حم الدخان)، (٦٤) ثم (حم الجاثية) ، (٦٥) ثم الأحقـــاف، (٦٦) ثم (الذاريات)، (٦٧) ثم الغاشية، (٦٨) ثم الكهف، (٦٩) ثم حـــم عســـق [3]، (٧٠) ثم (تنـــزيل السجدة)، (٧١) ثم الأنبياء، ، (٧٢) ثم النحل أربعين وبقيتها في المدينة، (٧٣) ثم (إنا أرسلنا نوحا)، (٧٤) ثم (الطور)، (٧٥) ثم المؤمنون ، (٧٦) ثم (تبارك)، (٧٧) ثم (الحاقة)، (٧٨) ثم (سأل)[4]، (٧٩) ثم (عـــم يتســـاءلون)[5]، (٨٠) ثم (والنازعات)، (٨١) ثم (إذا السماء انفطرت)[6]، (٨٢) ثم (إذا الســـماء انشـــقت)[7]، (٨٣) ثم (الـــروم)، (٨٤) ثم (العنكبوت)، (٨٥) ثم (ويل للمطففين)، فذاك ما أنزل بمكة.

وأنـــزل بالمديـــنة (١) سورة البقرة، (٢) ثم آل عمران، (٣) ثم الأنفال، (٤) ثم الأحزاب، (٥) ثم المائدة ، (٦) ثم الممتحنة، (٦) ثم إذا جاء نصر الله، (٧) ثم الحج (٨) ثم المـــنافقون ، (٩) ثم المجادلة ، (١٠) ثم التحريم ، (١١) ثم الجمعة ، (١٢) ثم

---

(١) واسمها أيضا سورة الإسراء.

(٢) واسمها أيضا سورة غافر.

(٣) سورة الشورى.

(٤) واسمها أيضا سورة المعارج.

(٥) واسمها أيضا سورة النبأ.

(٦) وهي سورة الانفطار.

(٧) وهي سورة الانشقاق.

التغابن ، (١٣) ثم سبح الحواريين [١]، (١٤) ثم الفتح ، (١٥) ثم التوبة وخاتمة القرآن.

ونلاحظ أنه لم يذكر السور التالية: (النساء والزلزلة والحديد والرعد والطلاق ومحمد والإنسان والرحمن ، والبينة ، والنور والحجرات)

ولذا قال السيوطي : قلت هذا سياق غريب وفي هذا الترتيب نظر وجابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن [٢].

الترتيب الثامن: حويش

ترتيب ملا حويش : السيد عبدالقادر ملاّ حويش آل غازي العاني، شرع العمل في تفسيره يوم الأربعاء أول شهر رجب الحرام سنة ألف وثلثمائة وخمس وخمسين من هجرة سيد الأولين والآخرين، الموافق (١٧/ أيلول سنة ١٩٣٦م)[٣].

لم يذكر المفسر حويش مصدره للترتيب الذي اتبعه بالرغم من ذكره أنه لم يسبق إلى مثل هذا التفسير في اتباع تاريخ نزول السور[٤]، ولكنه في الغالب اتبع ما كتب على بعض المصاحف من ذكر السورة التي نزلت بعدها، فأخرج منها هذا الترتيب وهو الترتيب المشهور والله أعلم [٥].

١ ـــ العلق ،٢ ـــ القلم ، ٣ ـــ المزمل ، ٤ ـــ المدثر ، ٥ ـــ الفاتحة ، ٦ ـــ المسد ، ٧ ـــ التكوير ، ٨ ـــ الأعلى ٩ ـــ الليل ، ١٠ ـــ الفجر ، ١١ ـــ الضحى ، ١٢ ـــ الانشراح ، ١٣ ـــ العصر ، ١٤ ـــ العاديات، ١٥ ـــ الكوثر ، ١٦ ـــ

---

(١) سورة الصف

(٢) السيوطي : الاتقان ١ / ٨٥.

(٣) حويش: بيان المعاني ١ / ٥.

(٤) حويش : بيان المعاني ١ / ٤.

(٥) يبدو أن حويش قد اعتمد على ترتيب اللجنة المصرية التي طبع عليها المصحف المسمى مصحف فؤاد اعتماداً على ما أجازته لجنة الأزهر في رأس كل سورة مما نزل قبلها.

الـــتكاثر ، ١٧ ـــ الماعون ، ١٨ ـــ الكافرون ، ١٩ ـــ الفيل، ٢٠ ـــ الفلق ، ٢١ ـــ الناس ، ٢٢ ـــ الإخلاص ، ٢٣ ـــ النجم ، ٢٤ ـــ عبس ، ٢٥ ـــ القدر ، ٢٦ ـــ والشمس ، ٢٧ ـــ البروج ، ٢٨ ـــ والتين ، ٢٩ ـــ قريش ، ٣٠ ـــ القارعة ، ٣١ ـــ القيامـــة ، ٣٢ ـــ الهمزة ، ٣٣ ـــ والمرسلات ٣٤ ـــ ق ، ٣٥ ـــ البلد ، ٣٦ ـــ الطـــارق ، ٣٧ ـــ القمر ، ٣٨ ـــ ص ، ٣٩ ـــ الأعراف ، ٤٠ ـــ الجن ، ٤١ ـــ يس ، ٤٢ ـــ الفرقان ، ٤٣ ـــ فاطر ، ٤٤ ـــ مريم ، ٤٥ ـــ طه ، ٤٦ ـــ الواقعة ، ٤٧ ـــ الشعراء ، ٤٨ ـــ النمل ، ٤٩ ـــ القصص ، ٥٠ ـــ الإسراء ، ٥١ ـــ يونس ، ٥٢ ـــ هود ، ٥٣ ـــ يوسف ، ٥٤ ـــ الحجر ، ٥٥ ـــ الأنعام، ٥٦ ـــ الصافات ، ٥٧ ـــ لقمان ، ٥٨ ـــ سبأ ، ٥٩ ـــ الزمر ، ٦٠ ـــ المؤمن (غافر)، ٦١ ـــ فصـــلت ، ٦٢ ـــ الشورى ، ٦٣ ـــ الزخرف ، ٦٤ ـــ الدخان ، ٦٥ ـــ الجاثية ، ٦٦ ـــ الاحقاف ، ٦٧ ـــ الذاريات ، ٦٨ ـــ الغاشية ، ٦٩ ـــ الكهف، ٧٠ ـــ النحل ، ٧١ ـــ نوح ، ٧٢ ـــ إبراهيم ، ٧٣ ـــ الأنبياء ، ٧٤ ـــ المؤمنون، ٧٥ ـــ السجدة ، ٧٦ ـــ الطور ، ٧٧ ـــ الملك ، ٧٨ ـــ الحاقة ، ٧٩ ـــ المعارج ، ٨٠ ـــ النـــبأ ، ٨١ ـــ الـــنازعات، ٨٢ ـــ الانفطار ، ٨٣ ـــ الانشقاق ، ٨٤ ـــ الـــروم ، ٨٥ ـــ العنكبوت ، ٨٦ ـــ المطففين ، ٨٧ ـــ البقرة ، ٨٨ ـــ الأنفال ، ٨٩ ـــ آل عمران ، ٩٠ ـــ الأحزاب ، ٩١ ـــ الممتحنة ، ٩٢ ـــ النساء [١]، ٩٣ ـــ الزلـــزلة ، ٩٤ ـــ الحديد ، ٩٥ ـــ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ٩٦ ـــ الـــرعد ، ٩٧ ـــ الـــرحمن ، ٩٨ ـــ الإنسان ، ٩٩ ـــ الطلاق ، ١٠٠ ـــ البينة ، ١٠١ ـــ الحشر ، ١٠٢ ـــ النور ، ١٠٣ ـــ الحج ، ١٠٤ ـــ المنافقون ، ١٠٥ ـــ المجادلـــة ، ١٠٦ ـــ الحجـــرات ، ١٠٧ ـــ التحريم ، ١٠٨ ـــ التغابن ، ١٠٩ ـــ

(١) ينـــتهي الجـــزء الخامس من تفسير بيان المعاني لملا حويش بسورة النساء بحسب الترتيب المذكور، وسوف نتم ترتيبه بحسب الترتيب المشهور لعدم توفر الجزء السادس من التفسير عندنا.

الصف ، ١١٠ ــ الجمعة ، ١١١ ــ الفتح ، ١١٢ ــ المائدة ، ١١٣ ــ التوبة ، ١١٤ ــ النصر.

الترتيب التاسع : دروزة

محمد عزة دروزة النابلسي (١٨٨٧ ــ ١٩٨٢م) [١].

ذكر ترتيبه في تفسيره: التفسير الحديث ، وقال في مقدمة الجزء الأول من التفسير: ولقد رأينا أن نجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السورة ، بحيث تكون أولى السور المفسرة سورة العلق ثم القلم ثم المزمل إلى أن تنتهي السور المكية ثم سورة البقرة فسورة الأنفال إلى أن تنتهي السور المدنية ، لأننا رأينا هذا يتسق مع المنهج الذي اعتقدنا أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته [٢]، ثم أشار إلى ما ذكره السيوطي في كتابه الاتقان وما هو مذكور في كتب أخرى إلى ان قال: وقد اعتمدنا الترتيب الذي جاء في مصحف الخطاط قدروغلي ــ والذي طبع بتصريح من وزارة الداخلية المصرية وإذن من مشيخة المقارىء المصرية من قبل عبدالحميد أحمد أفندي ــ ، لأنه ذكر أنه طبع تحت إشراف لجنة خاصة من ذوي العلم والوقوف، حيث يتبادر إلى الذهن أن يكون قد أشير إلى ترتيب النزول فيه (السورة كذا نزلت بعد السورة كذا) [٣]، بعد اطلاع اللجنة على مختلف الروايات والترجيح بينها [٤]، وفي تقديرنا أن هذا ما اعتمد عليه ملا حويش في ترتيب تفسيره أيضاً ووصفناه بالترتيب المشهور، ولكنه لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في الترتيب كما قال المفسر دروزة

---

(١) ترجمته في كتاب محمد عزة دروزة، تأليف حسين عمر حماده، نشر دار قتيبة دمشق.

(٢) دروزة : التفسير الحديث ١ / ٨.

(٣) يقصد دروزة أن ذلك كان مكتوبا بجانب اسم السورة في المصحف المذكور.

(٤) دروزة : التفسير الحديث ١ / ١٣.

رحمهما الله تعالى ، وكذلك لم يشر دروزة إلى تفسير ملا حويش الذي سبقه إلى هذا المنهج [١]، وفي الغالب أنه لم يعرف به أو لم يكن مطبوعا بعد والله أعلم.

لقد ذكر دروزة في مقدمة تفسيره جدولاً في الترتيب الذي أخذه عن مصحف الخطاط قدروغلي ، ولكنه قال: (ولقد رأينا أن نخالف ترتيب هذا المصحف بعض الشيء) [٢]، ولهذا فلن أكرر ذكر الترتيب السابق الذي اعتمده ملا حويش وإنما الترتيب بحسب ما جاء في تفسير دروزة عمليا لأنه الترتيب الذي يرجحه هو وليس ما ذكره عن اللجنة المصرية.

افتتح دروزة تفسيره بسورة بالفاتحة [٣]، ٢ ــ العلق ، ٣ ــ القلم ، ٤ ــ المزمل، ٥ ــ المدثر ، ٦ ــ المسد ، ٧ ــ التكوير ، ٨ ــ الأعلى ، ٩ ــ الليل ، ١٠ ــ الفجر ، ١١ ــ الضحى ، ١٢ ــ الشرح ، ١٣ ــ العصر ، ١٤ ــ العاديات ، ١٥ ــ الكوثر ، ١٦ ــ التكاثر ، ١٧ ــ الماعون ، ١٨ ــ الكافرون ، ١٩ ــ الفيل ، ٢٠ ــ الفلق ، ٢١ ــ الناس ، ٢٢ ــ الإخلاص ، ٢٣ ــ النجم ، ٢٤ ــ عبس ، ٢٥ ــ القدر ، ٢٦ ــ والشمس، ٢٧ ــ البروج ، ٢٨ ــ والتين ، ٢٩ ــ قريش ، ٣٠ ــ القارعة ، ٣١ ــ القيامة ، ٣٢ ــ الهمزة ، ٣٣ ــ والمرسلات ٣٤ ــ ق ، ٣٥ ــ البلد ، ٣٦ ــ الطارق ، ٣٧ ــ القمر ، ٣٨ ــ ص ، ٣٩ ــ الأعراف ، ٤٠ ــ الجن ، ٤١ ــ يس ، ٤٢ ــ الفرقان ، ٤٣ ــ فاطر ، ٤٤ ــ مريم، ٤٥ ــ طه ، ٤٦ ــ الواقعة ، ٤٧ ــ الشعراء ، ٤٨ ــ النمل ، ٤٩ ــ القصص ، ٥٠ ــ الإسراء ، ٥١ ــ يونس ، ٥٢ ــ هود ، ٥٣ ــ يوسف، ٥٤

(١) لمعرفة من الأسبق منهما : ملا حويش أو دروزة لا بد من دراسة لسيرهما الذاتية والعلمية.

(٢) دروزة : التفسير الحديث ١ / ١٦.

(٣) يرجح دروزة أن سورة العلق نزلت قبل الفاتحة بناءً على قوة الأدلة الواردة، ولكنه فضل أن يفتتح تفسيره بسورة الفاتحة (١ / ١٦).

ـــ الحجـــر ، ٥٥ ـــ الأنعام ، ٥٦ ـــ الصافات ، ٥٧ ـــ لقمان ، ٥٨ ـــ سبأ ، ٥٩ ـــ الزمـــر ، ٦٠ ـــ غافر ـــ المؤمن ـــ ، ٦١ ـــ فصلت ، ٦٢ ـــ الشورى ، ٦٣ ـــ الزخـــرف ، ٦٤ ـــ الدخان ، ٦٥ ـــ الجاثية ، ٦٦ ـــ الاحقاف ، ٦٧ ـــ الذاريات ، ٦٨ ـــ الغاشية [1]، **٦٩ ـــ الكهف ، ٧٠ ـــ النحل ، ٧١ ـــ نوح ، ٧٢ ـــ إبراهيم ، ٧٣ ـــ الأنبياء ، ٧٤ ـــ المؤمنون ، ٧٥ ـــ السجدة ، ٧٦ ـــ الطور ، ٧٧ ـــ الملك ، ٧٨ ـــ الحاقة ، ٧٩ ـــ المعارج ، ٨٠ ـــ النبأ ، ٨١ ـــ الـــنازعات ، ٨٢ ـــ الانفطـــار ، ٨٣ ـــ الانشـــقاق ، ٨٤ ـــ الروم** ، ٨٥ ـــ العنكـــبوت ، ٨٦ ـــ المطففين ، (٨٧ ـــ الرعد ، ٨٨ ـــ الحج ، ٨٩ ـــ الرحمن ، ٩٠ ـــ الإنسان، ٩١ ـــ الزلزلة) [2]، ٩٢ ـــ البقرة ، ٩٣ ـــ الأنفال ، ٩٤ ـــ آل عمران ، ٩٥ ـــ الحشر ، ٩٦ ـــ الجمعة ، ٩٧ ـــ الأحزاب ، ٩٨ ـــ النساء، ٩٩ ـــ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ١٠٠ ـــ الطلاق ، ١٠١ ـــ البينة ، ١٠٢ ـــ الـــنور ، ١٠٣ ـــ المـــنافقون ، ١٠٤ ـــ المجادلة ، ١٠٥ ـــ الحجرات ، ١٠٦ ـــ التحريم ، ١٠٧ ـــ التغابن ، ١٠٨ ـــ الصف ، ١٠٩ ـــ الفتح ، ١١٠ ـــ المائدة ، ١١١ ـــ الممتحنة ، ١١٢ ـــ الحديد ، ١١٣ ـــ التوبة ، ١١٤ ـــ النصر.

الترتيب العاشر : حبنكة

هـــو الدكـــتور عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ذكر ترتيبه في تفسيره معارج التفكر ودقائق التدبر، فقال عن منهجه:(الذي ترجح لدي فيه أن أتابع تدبر السور

---

(١) إلى هـــنا ينتهي الجزء الخامس من التفسير الحديث، ويبدأ الجزء السابع من سورة العنكبوت وليس عـــندنا الجزء السادس من التفسير، وأغلب الظن أن دروزة سيتبع ترتيب لجنة القراء المصرية التي أشار إليها سابقاً.

(٢) انظر دروزة التفسير الحديث ٧ / ٤١، حيث يذكر لماذا وضع هذه السور في هذا الموضع، وسبب ترتيبها على هذا النحو.

عــلى ما ذكر العلماء بعلوم القرآن الكريم من ترتيب نزولها)[١]، وما طبع من هذا التفســير ســتة مجلدات ترتيب النــزول فيها موافق لما جاء في الترتيب المشهور عن اللجنة المصرية باستثناء ترتيب سورة المدثر والقلم، وهو على النحو التالي :

١ ــ العــلق ، ٢ ــ المدثر ، ٣ ــ المزمل ، ٤ ــ القلم ، ٥ ــ الفاتحة ، ٦ ــ المســد ، ٧ ــ الــتكوير ، ٨ ــ الأعــلى ، ٩ ــ الليل ، ١٠ ــ الفجر ، ١١ ــ الضــحى ، ١٢ ــ الشرح ، ١٣ ــ العصر ، ١٤ ــ العاديات ، ١٥ ــ الكوثر ، ١٦ ــ الــتكاثر ، ١٧ ــ الماعون ، ١٨ ــ الكافرون [٢]، ١٩ ــ الفيل ، ٢٠ ــ الفلق ، ٢١ ــ الناس ، ٢٢ ــ الإخلاص ، ٢٣ ــ النجم ، ٢٤ ــ عبس ، ٢٥ ــ القدر ، ٢٦ ــ والشمس ، ٢٧ ــ البروج ، ٢٨ ــ والتين ، ٢٩ ــ قريش ، ٣٠ ــ القارعة ، ٣١ ــ القيامة ، ٣٢ ــ الهمزة ، ٣٣ ــ والمرسلات [٣]، ٣٤ ــ ق ، ٣٥ ــ البلد ، ٣٦ ــ الطارق ، ٣٧ ــ القمر ، ٣٨ ــ ص [٤]، ٣٩ ــ الأعراف ، ٤٠ ــ الجن ، ٤١ ــ يس ، ٤٢ ــ الفرقان.

الترتيب الحادي عشر : هلال

دراســة الدكتور محمد هلال هي مقالات نشرها هلال في جريدة اللواء الأردنية باسم: (محاولة في ترتيب نزول السور المدنية)، وهي دراسة جادة وفق أسس علمية ومــنهجية وتعــليل نقلي وعقلي قويم، وقد تفضل الدكتور محمد مشكوراً باطلاعنا

---

(١) حبنكه: معارج التفكر ودقائق التدبر ١ / ٦.

(٢) إلى هنا ينتهي المجلد الأول من تفسير معارج التفكر.

(٣) إلى هنا ينتهي المجلد الثاني من تفسير معارج التفكر.

(٤) إلى هنا ينتهي المجلد الثالث ، والجزء الرابع حتى الآية (١٧١) من سورة الأعراف، والجزء الخامس حتى آخر سورة الجن، والجزء السادس في تفسير سورتي يس والفرقان.

على مخطوطة ما لم ينشر حتى الآن في الجريدة ، وترتيبه مقتصر على السور المدنية حسب دراسته، وهو على النحو التالي :

١ ـ سورة الحج ، ٢ ـ سورة التغابن ، ٣ ـ سورة الجمعة ، ٤ ـ سورة محمد ، ٥ ـ سورة البقرة ، ٦ ـ سورة الطلاق ، ٧ ـ سورة الأنفال، ٨ ـ سورة آل عمران ، ٩ ـ سورة الحشر ، ١٠ ـ سورة المنافقون ، ١١ ـ سورة النور ، ١٢ ـ سورة النساء ، ١٣ ـ سورة المجادلة، ١٤ ـ سورة الأحزاب ، ١٥ ـ سورة الممتحنة ، ١٦ ـ سورة الفتح ، ١٧ ـ سورة الحجرات ، ١٨ ـ سورة المائدة ، ١٩ ـ سورة الصف ، ٢٠ ـ سورة النصر ، ٢١ ـ سورة الحديد ، ٢٢ ـ سورة التحريم، ٢٣ ـ سورة التوبة.

مما سبق وبعد ذكر كل هذه الترتيبات نجد الاختلاف يسيرا بينها، وأن آخر هذه الترتيبات ـ ترتيب هلال ـ سعى لتقديم ترتيب يقوم على دراسة علمية للوحدة الموضوعية في السورة الواحدة والقرآن كله، مما يعني أن دراسات المسلمين آخذة في التوسع في الدراسة التدبرية التاريخية، فالدراسات الحديثة تعتمد على الترتيبات الواردة في كتب التفسير والحديث والسيرة وعلوم القرآن ولكنها تعرضها على الدراسة والبحث والنقد والأخذ والرد، وبالرغم من عرض بعض العلماء هذه الترتيبات في مواقع ومواضع شتى وتحت عناوين مختلفة مثل تأليف القرآن [١]، أو تاريخ المصحف أو غيرها فإن هذا الترتيبات من أهم مصادر علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن وهي الأساس الأول لهذا العلم.

(١) انظر أبو الحسن علي السخاوي: كتاب جمال القراء وكمال الإقراء ١ / ٢٩٨، تحقيق: عبدالحق عبدالدايم، نشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

الفصل الثاني

علم أول ما نزل من القرآن وآخره

كتاب بدء الوحي هو أول كتب وأبواب صحيح البخاري وقد روى فيه الحديث التالي : ((حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت **أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي** الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال { **اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم** } فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس

الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي **وفتر الوحي** قال ابن شهاب وأخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن أن جابر بن عبدالله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تعالى { **يا أيها المدثر قم فأنذر** } إلى قوله { **والرجز فاهجر** } **فحمي الوحي وتتابع**)) (١).

والحديث الذي رواه مسلم في صحيحه هو : ((حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها قالت كان **أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي** الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق **وهو في غار حراء فجاءه الملك** فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قال قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال أقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: { **اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ**

---

(١) البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١ / ٤.

وربــك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم } فرجع بها رسول الله صــلى الله عــليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أي خديجة ما لي وأخبرها الخبر قال لقد خشــيت عــلى نفسي قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين عــلى نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العــزى وهــو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكــتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة أي عم اسمع من ابن أخيك قال ورقة بن نوفل يا ابن أخي مــاذا تــرى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رآه فقال له ورقة هذا الــناموس الــذي أنزل على موسى صلى الله عليه وسلم يا ليتني فيها جذعا يا ليتني أكــون حيا حين يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قــال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا.)) (١).

وروى مســلم أيضا الحديث التالي : ((وحدثنا زهير بن حرب حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي قال سمعت يحيى يقول سألت أبا سلمة **أي القرآن أنزل قبل** قــال { **يا أيها المدثر** } فقلت أو اقرأ فقال سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قــبل قال { **يا أيها المدثر** } فقلت أو اقرأ قال جابر أحدثكم ما حدثنا رسول الله صــلى الله عــليه وســلم قال : (جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث ٢٣١.

أحدا ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهـــواء يعني جبريل عليه السلام فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثـــروني فصبوا علي ماء فأنزل الله عز وجل { **يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر** })

حدثـــنا محمد بن المثنى حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير بهذا الإسناد وقال فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض)) (١).

هـــذه بعـــض الأحاديث التي جاءت في كتب الحديث وغيرها كثير، تتعلق ببدأ الوحي وأول ما نزل من القرآن، وهي من مباحث تاريخ نزول القرآن، وخاصة انها تـــتحدث عن لحظة البداية، ونقطة الإنطلاق، التي يبدأ بها كل حدث تاريخي، وقد جاءت عدة أخبار أخرى تفيد أن أول ما نزل هو سورة المدثر وأخرى تقول الفاتحة وأخرى تقول الضحى وهكذا.

وقد أجاب كثير من العلماء على ذلك أن بعضها أولية نزول مطلقة وأخرى أولية نسبية أو مقيدة.

فـــأول مـــا نزل من القرآن بإطلاق هو أوائل سورة العلق (١ ـــ ٥)، وأما أولية سورة المدثر فهي أولية بعد فترة الوحي.

وقـــول الباقلاني: (إنه لا نص من الرسول قاطع على أول ما أنزل عليه من ذلك وآخره وعلى تفصيل مكيه ومدنيه) (٢)، يقصد عدم ورود الرواية الحديثية الصحيحة ، ولكن ذلك لا ينفي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبين ذلك للمؤمنين وإن لم يـــرو ذلك عنه صلى الله عليه وسلم، ولذا جاء تعليله منسجما مع ما قصده فقال:(ومـــما يدل على صحة ما قلناه أن المختلفين في ذلك من الصحابة لا يرون اختلافهم

---

(١) مسلم : رقم ٢٣٣.

(٢) الباقلاني : الانتصار لنقل القرآن ١ / ٢٣٨.

فيه عن رسول الله صلى الله عليه ، بل إنما يخبرون بذلك عن أنفسهم وما أداهم إليه اجتهادهم واستدلالهم بظاهر الأمر، وإن روى بعضهم في ذلك عن النبي صلى الله عليه شيئاً لم يروه نصاً قاطعاً، وإنما يحكى عنه قولاً محتملاً وقصة للتأويل والظنون عليها سبيل وطريق، وليس يجب اتفاقهم على ما هذه سبيله) [١].

ولما تكلم الباقلاني على بعض روايات أول ما نزل وأتى على خبر أولية سورة الفاتحة قال: (وهذا الخبر منقطع غير متصل السند، لأنه موقوف على أبي ميسرة وأثبت الأقاويل من خلاف الصحابة قول من قال : إن أول ما أنزل { اقرأ باسم ربك } وما يليه في القوة قول جابر ومن قال أول ذلك { يا أيها المدثر }، وليس في هذه الأخبار نص من الرسول لا يحتمل التأويل ولا فيها ما يقتضي لفظه ومجيئه أنه قال ذلك للكافة وألزمهم نقله واعتقاده وحظر عليهم التخلف عن حفظه ومعرفته) [٢].

آخر ما نزل من القرآن:

جاء في كتاب الناسخ والمنسوخ لقتادة بن دعامة السدوسي المتوفى (١١٧هـ) وهو من أقدم كتب علوم القرآن :(قال حدثنا همام عن الكلبي عن أبي صالح وسعيد بن جبير أنهما قالا إن آخر آية نزلت من القرآن { واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون(٢٨١) } [سورة البقرة]

(١) الباقلاني: الانتصار ١ / ٢٣٨.

(٢) الباقلاني: الانتصار ١ / ٢٤١.

قال حدثنا همام عن قتادة أن أبي بن كعب قال إن آخر عهد القرآن في السماء هاتان الآيتان خاتمة براءة { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم . .(١٢٨) إلى آخرها (سورة التوبة) [١].

وفي كتب الحديث روايات تتحدث عن آخر ما نزل من القرآن منها:

قال البخاري:((حدثني عبدالله بن رجاء حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر سورة نزلت خاتمة سورة النساء { يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة }))[٢].

((حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت البراء بن عازب يقولا آخر آية أنزلت آية الكلالة وآخر سورة أنزلت براءة)) [٣].

((حدثنا عبد الله حدثنا روح بن عبد المؤمن حدثنا عمر بن شقيق حدثنا أبو جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبي بن كعب فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن فقال لهم أبي بن كعب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني بعدها آيتين { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم } إلى { وهو رب العرش العظيم } ثم قال هذا آخر ما أنزل من القرآن قال فختم بما فتح

---

(١)السدوسي: قتادة بن دعامة، كتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله، نصوص محققة في علوم القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، جامعة بغداد، ص ٤٨.

(٢) البخاري : الجامع الصحيح، كتاب المغازي.

(٣) مسلم : الجامع الصحيح، كتاب الفرائض، رقم ٣٠٣٧...

بـــه بالله الذي لا إله إلا هو وهو قول الله تبارك وتعالى { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون })) (١).

وفي كتب علوم القرآن أقوال متعددة ومختلفة أيضا، منها ما روي عن ابن عباس رضـــي الله عنهما أنه: { إذا جاء نصر الله والفتح }، وعن عائشة : سورة المائدة، وقيل { واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله }، وبعد تعدد الروايات واختلافها في آخر ما نزل ذكر صاحب البرهان ما قاله الباقلاني فقال : (قال القاضي الباقلاني ابو بكر في (الانتصار) : (وهذه الأقوال ليس في شيء منها ما رفع إلى النبي صلى الله عليه وســلم. ويجوز ان يكون قاله قائله بضرب من الإجتهاد، وتغلب الظن، وليس العلم بذلك من فرائض الدين) (٢).

وعند السيوطي روايات متعددة ومختلفة في آخر ما نزل من القرآن، تشبه بعض ما سبق ذكره (٣).

وذلك كله يدل على عناية المسلمين بمعرفة أول ما نزل وآخره وجمع الروايات في ذلـــك والاجتهاد في صحة سندها وفهم متنها، وهذه أبحاث من صلب أبحاث علم تـــاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم، والاختلافات فيها دلالة على كثرة الرواية والاعتـــناء بها، وإن هذه الروايات مصدر مهم في معرفة تاريخ نزول عدد من آيات وسور القرآن الكريم.

---

(١) ابن حنبل : مسند أحمد بن حنبل، مسند الأنصار رقم ٢٠٢٧٨

(٢) الباقلاني : الانتصار للقرآن ١ / ٢٤٦ ، الزركشي : البرهان ١/ ٢١٠.

(٣) انظر السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ٢٦.

الفصل الثالث

علم المكي والمدني

لهـــذا الفصل صلة بالفصل الأول لأن ترتيب النـــزول قصد بيان الترتيب أولاً ثم بيـــان ما نزل في مكة وما نزل في المدينة ثانياً، فترتيب النـــزول يستلزم تتابع تاريخ الدعـــوة الإسلامية في عهد النبوة زمانياً ومكانياً ولا يتحدد ذلك إلا بالمكي والمدني الزماني والمكاني، ومن ذلك قول قتادة:(ذكر المدني من القرآن:

قـــال حدثـــنا همام عن قتادة قال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال وبـــراءة والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديـــد إلى: { يـــا أيهـــا النبي لم تحرم ما أحل الله لك(١) }، [التحريم] عشر متواليات وإذا زلزلت وإذا جاء نصر الله والفتح قال هذا مدني وسائر القرآن مكي.

قال حدثنا همام عن الكلبي عن أبي صالح أنه قال أول شيء أنزل من القرآن: { اقـــرأ باســـم ربك الذي خلق} حتى بلغ إلى { إن إلى ربك الرجعى(٨) } [سورة العلق]، وقال قتادة مثل ذلك قال الكلبي ثم أنزلت آيات بعد ثلاث آيات من أول : { ن والقـــلم }، أو ثلاث آيات من أول : المدثر إحداهما قبل الأخرى فأي الثلاث كن قبل الأولى فالأخرى بعدهن) [(١)].

لـــذا كـــانت عناية العلماء بهذا العلم كبيرة ومتقدمة في كتب التفسير والحديث والســـيرة والـــتاريخ والمغـــازي حتى استقرت عنواناً مهما من عناوين علوم القرآن الكـــريم، فقال عنه السيوطي : ((أفرده بالتصنيف جماعة منهم مكي والعز الديريني ومن فوائد معرفة ذلك : العلم بالمتأخر فيكون ناسخاً أو مخصصاً على رأي من يرى تـــأخير المخصص، قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب

---

(١)السدوسي: قتادة بن دعامة، كتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله، نصوص محققة في علوم القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، جامعة بغداد، ص ٤٩.

التنـــبيه على فضل علوم القرآن : من أشرف علوم القران علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة وما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نـــزل بمكـــة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المـــدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلا، وما نزل نهارا، وما نزل مشيعا، ومـــا نـــزل مفردا، والآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنيـــة، ومـــا حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المديـــنة إلى أرض الحبشـــة، وما نزل مجملا، وما نزل مفسرا، وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي، فهذه خمسة وعشرون وجها، من لم يعرفها ويميز بينها، لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى انتهى.

قلت: وقد أشبعت الكلام على هذه الأوجه فمنها ما أفردته بنوع منها، ومنها ما تكلمت عليه في ضمن بعض الأنواع)) [1].

قال الشاطبي : (المدني من السور ينبغي أن يكون منـــزلا في الفهم على المكي، وكذلـــك المكـــي بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنـــزيل، وإلا لم يصح، والدليـــل عـــلى ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه، دل على ذلك الاستقراء، وذلك إنما يكـــون ببيان مجمل، أو تخصيص عموم، أو تقييد مطلق، أو تفصيل ما لم يفصل، أو تكميل ما لم يظهر تكميله.

وأول شـــاهد عـــلى ذلـــك أصل الشريعة، فإنها جاءت متممة لمكارم الأخلاق، ومصلحة لما افسد قبل من ملة إبراهيم عليه السلام، ويليه تنـــزيل سورة الأنعام، فإنها نـــزلت مبينة لقواعد العقائد في أصول الدين، وقد خرج العلماء منها قواعد التوحيد

([1]) السيوطي : الإتقان ١ / ٨.

التي صنف فيها المتكلمون، من أول إثبات واجب الوجود إلى إثبات الإمامة... ثم لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان من أول ما نزل عليه سورة البقرة، وهي التي قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام، فإنها بينت من أقسام أفعال المكلفين جملتها، وإن تبين في غيرها تفصيل لها...، فغيرها من السور المدنية المتأخرة عنها مبني عليها، كما كان غير الأنعام من المكي المتأخر عنها مبنيا عليها، وإذا تنزلت إلى سائر السور بعضها مع بعض في الترتيب وجدها كذلك، حذو القذة بالقذة، فلا يغيبن عن الناظر في الكتاب هذا المعنى، فانه من أسرار علوم التفسير، وعلى حسب المعرفة به تحصل له المعرفة بكلام ربه سبحانه) [١].

فمعرفة المكي والمدني مسألة علمية تكلم عليها العلماء كثيراً قديما وحديثاً، وقد قدم الشيخ عبدالرزاق حسين أحمد رسالة قيمة ومفيدة ودراسة وافية لتاريخ علم المكي والمدني ومن صنف فيه، اسمها (المكي والمدني في القرآن الكريم) [٢]، لكن الرسالة على قيمتها العلمية العظيمة لم تشمل كل السور القرآنية والعذر في الغالب أنها رسالة علمية جامعية اكتفت بهذا القدر من الدراسة، وحبذا لو أكملت.

إن الكثير من السور والآيات القرآنية متفق على مكيتها أو مدنيتها على اعتبار الرأي الراجح في تقسيم المكي ليعني كل ما نزل من الآيات والسور القرآنية من يوم البعثة وحتى تاريخ الهجرة النبوية الشريفة، وأن المدني هو كل ما نزل من القرآن الكريم بعد الهجرة النبوية وحتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بغض النظر عن الأمكنة التي نزل بها، أي أن هذا التقسيم يعتمد المعنى الزماني للمكي والمدني وليس

---

(١) الشاطبي : إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمد عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ، ٣ / ٤٠٦.

(٢) المكي والمدني في القرآن الكريم: نشر دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ـــ١٩٩٩م.

المعنى المكاني فقط، فالمعنى الزماني هو الراجح عليه، وهذا يؤكد اهتمام العلماء بالمعنى التاريخي للنـــزول لأن المعنى الزماني معنى تاريخي.

وباستثناء عدد قليل من السور التي اختلف في كونها مكية أو مدنية، إلا أن المسألة الـــتي تحتاج إلى دراسة معمقة هو ما يقال عن آية أو آيات معينة تخالف السورة التي وجدت فيها، فيقال إن هذه الآيات مكية وهي في سورة مدنية أو – وهو الغالب – أنها مدنية جاءت في سور مكية.

وقد استقرأنا الآثار في ذلك فوجدناها لم تصلنا بخبر مسند صحيح إلى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم، وأغلبها آثار غير مروية بأسانيدها، بل هي مروية عن آحاد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، لذا فهي أخبار غير مقطوع بصحتها أو نسبتها إلى أصـــحابها، وهي معارف تاريخية أكثر منها معارف دينية، لذا وجب التحقق من صـــحة هـــذه الآثار والأقوال عن طريق أدلة مرجحة لما هو مكي وما هو مدني من سور وآيات القرآن الكريم.

ومهمة هذا الكتاب وهذا العلم أعني علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم تقـــديم مـــنهج تاريخي علمي يعين على تعيين وترجيح ما هو مكي ومدني، وذلك بدراســـة مفصـــلة للسور والآيات القرآنية لاستقراء صفات جامعة للسور والآيات المكية، وكذلك الصفات المشتركة للسور والآيات المدنية، وذلك في عدة مستويات منها:

ـ **مســـتوى الأحرف**: فقد كثرت الأحرف المقطعة في أوائل السور المكية أكثر منها في المدنية.

ـ **مستوى الألفاظ** : مثل لفظ : كلا [1].

(١) البرهان للزركشي (١/١٨٨)، وجمال القراء للسخاوي (١ / ٢٤٧)، والإتقان للسيوطي (١/٥٤)

ــ **مستوى الكلمات:** (المصطلحات) بمعنى استعمال الكلمات بالمعنى اللغوي أو المعنى الاصطلاحي القرآني مثل كلمات الرب والله والصلاة والزكاة والطاعة والربا والنفاق والمرض وغيرها.

ــ **مستوى الجمل:** نداءات القرآن الفردية والجماعية مثل { يا أيها الإنسان } و(يا أيها النبي } و{ يا أيها الناس } و { يا أيها الذين آمنوا } و{ يا أهل الكتاب } و{ يا أيها الذين كفروا } وغيرها.

فالنداء الفردي ممكن في مكة للنبي صلى الله عليه وسلم والإنسان، وأما نداءات الجماعات فلا بد من تحقق وجود المخاطب عملياً فالمنادى بـ: { يا أيها الناس } متحقق في مكة والمدينة، والمنادى بقوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا } نداء لجماعة المؤمنين وهم جماعة، وهذا لم يكن قبل الهجرة متحققاً عملياً، ونداء { يا أهل الكتاب } مدني لأنهم لم يكونوا جماعة في الزمن المكي أي في نفس موقع مكة، وكانوا جماعة في المدينة (يثرب)، وكذلك نداء {يا بني إسرائيل } لم يكن إلا في المدينة لأن اليهود كانوا طوائف في المدينة [١]، ونداء { يا أيها الذين كفروا } لمن كانوا جماعة في مكة والمدينة، أي أنه لا بد من التفريق بين النداءات والخطابات الفردية والجماعية وإمكانية تحققها عملياً في كلا العهدين و هذه الصفات تتطلب المعرفة التاريخية والسياسية المتزامنة مع نزول آيات وسور القرآن، فمعرفة النداء من القرآن يشير إلى تاريخ النزول، ومعرفة المخاطب تاريخياً يشير إلى تاريخ نزول الآية والسورة أيضاً.

ــ **مستوى الأسلوب :**

الآيات المكية قصيرة والآيات المدنية طويلة في الغالب، وذلك يعرف بكثرة الفواصل في السور المكية، وكذلك قصر السور نفسها عموما، والأسلوب المميز.

---

(١) انظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى (١٥ / ١٦٠)

ـــ مستوى الموضوعات والمعاني :

البـــنية الفكرية التي عالجتها الآيات المكية مركزة في المعرفة العلمية بالشاهد حتى يقـــوم الدليل على حقيقة وجود عالم الغيب، وأن وجود الشاهد بدقة وإتقان دليل عـــلى خلق الله له لأن الدقة هي التقدير وهي آية من آيات الله في كل شيء خلقه، وكذلـــك في الأوضاع التي تتطلب الصبر أو التركيز على أعمال معينة من الاستعانة بالذكر والصلاة والدعاء أو القتال أو الجهاد أو غيرها.

ـــ مستوى قصص الأنبياء والرسل:

القصص عموما وقصص الأنبياء خصوصا يتزامن مع مراحل الدعوة المحمدية، فما كان قصصاً فردياً للأنبياء السابقين دل على فردية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في تـــلك المرحلة، فإذا كان في القصة النبي ومن اتبعه دل على مقابل ذلك مع النبي صـــلى الله عليه وسلم وأتباعه، فقصة أهل الكهف قابلها زمن تلك المرحلة ممن آمن بالـــنبي صلى الله عليه وسلم، فالعبرة من القصة الاقتداء إذا توفرت المناسبة التاريخية لتلك الأوضاع المتشابهة.

ـــ المعاني المتزامنة في المناسبات التنـــزيلية للقصص القرآني:

إن القارىء لقصص الأنبياء في القرآن يجد أن القصة تأتي في أكثر من موضع وفي أكـــثر مـــن موضـــوع، والدراسة الموضوعية لأولويات القرآن الفكرية تساعد على معـــرفة تاريخ نزول هذه القصص أو ترتيبها وهي تشير إلى تاريخ نزول هذه الآيات في السورة التي هي فيها وبالتالي تاريخ نزول السورة وترتيبها بالنسبة للسور الأخرى التي وردت فيها القصة نفسها والنبي نفسه، والأمثلة التالية توضح ذلك :

المثال الأول ـــ قصة آدم عليه السلام

ذكر اسم آدم عليه السلام في القرآن خمسا وعشرين مرة في خمس وعشرين آية في تسع سور قرآنية هي: البقرة وآل عمران والمائدة والأعراف والإسراء والكهف ومريم وطه ويس، وهذا الترتيب بحسب المصحف، بينما هي في ترتيب النزول :

١ ـــ قال الله في سورة الأعراف : { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ(١١)}.

في هذه الآية قصة الخلق والتصوير والسجود لإكرام آدم ونكران إبليس أن يكرم آدم.

وقال: { وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(١٩) }

في هذه الآية قصة السكن في الجنة والتكليف.

وقال: { يَا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(٢٦) يَابَنِي ءَادَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧)}

في هذه الآيات ذكر اللباس وستر السوءة والحذر من اتباع الشياطين.

وقال: { يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)}

في هذه القصة طلب الأكل والشرب والزينة وعدم الإسراف.

وقال: { يَا بَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) }

في هذه الآية حكمة إرسال الرسل ونزول العلم من الله تعالى.

وقـــال: { وَإِذْ أَخَـــذَ رَبُّـــكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ(١٧٢)}

في هذه القصة العهد من بني آدم بصورة كلية.

٢ ــ قـــال الله تعالى في سورة يس : { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠)}

التأكيد على النهي عن عبادة الشيطان وأنه كان في خطاب سابق.

٣ ــ قال الله تعالى في سورة مريم: { أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا(٥٨)}

في الآية وحدة الذرية البشرية من الأنبياء والرسل.

٤ ــ قـــال الله تعالى في سورة طه : { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى(١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧)}

في هـــذه الآيات قابلية النسيان من آدم وبنيه ثم التوبة عنه وأن النسيان مدخل إلى المعصية.

وقـــال : { فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْـــلَى(١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١)}

الربط بين مداخل المعصية من المأكل أو المشرب وظهور السوءة.

٥ ــ قـــال الله تعـــالى في ســـورة الإسراء: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) }

وقال: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠)}

في الآيـــة مفهوم الكرامة البشرية وتفضيل الإنسان على غيره وتمكينه من السيطرة على البر والبحر وتملك الطيبات.

٦ ـــ قـــال الله تعـــالى في ســـورة الكهف : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَـــجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠)}

في القصة أن لإبليس ذرية وهم أعداء لذرية آدم.

٧ ـــ قال الله تعالى في سورة البقرة: { وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٣١)}

في القصـــة إخبار عن جعل آدم خليفة في الأرض وهذا الإخبار يتزامن مع جعل النبي صلى الله عليه وسلم خليفة حين قامت دولة المؤمنين في المدينة المنورة.

٨ ـــ قـــال الله تعال في سورة آل عمران: { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)}

في القصة أن الاصطفاء من أمر الله الذي يختص به، وحال المسلمين اليوم في دولة المؤمنين في المدينة من أمر الله أيضاً وهو الذي اصطفاهم خير أمة أخرجت للناس.

وقال الله تعالى: { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) }

القصة تزامنت مع الحوار مع أهل الكتاب في سورة آل عمران.

٩ ـــ قـــال الله تعالى في سورة المائدة: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُـــرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)}

القصـــة تزامنت مع أحكام التشريع التي نزلت في سورة المائدة وغيرها من السور المدنية.

فـــيما سبق إشارات واضحة على ترتيب معاني القرآن بما يتزامن من أحداث لها صـــلة في الدعوة النبوية ومراحل تطورها، وكشف المزيد عن هذه المعاني كفيل أن يخـــرج في كتاب مستقل، وليس من الممكن هنا التوسع فيه، وما نقصده ذكر أطر عامـــة لمـــنهج تـــاريخي في فهم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم وبخاصة منه الآيـــات القصصـــية التي جاءت في سور مكية ومدنية، و امتازت القصة المكية أنها تســـتأثر على السورة بأكملها أحياناً بينما هي في السور المدنية آيات قليلة يكشف التزامن عن العبرة منها.

المثال الثاني : قصة النبي يونس عليه السلام :

قال الله تعالى في سورة القلم : { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) }

وقـــد قيل إن هذه الآيات مدنية و لم يرد على ذلك دليل نقلي ولا عقلي، والصحيح أنها مكية للأدلة التالية:

أولا: أنها قصص قرآني والقصص في الغالب من خصائص الآيات المكية.

ثانيـــاً: الآيات تأمر بالصبر، والأمر بالصبر من خصائص الآيات المكية، وقد سبق قول القرطبي إنها منسوخة بالسيف، وقد قيل إن كل آيات الصبر المكية نسخت بآية السيف المدنية.

ثالثاً: إذا كانت هذه الآيات أول قصص ينـــزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها العبرة كما قال تعالى: { لقد كان في قصصهم عبرة }، فخير عبرة تأتي من ذكر قصة يونس عليه السلام كأول مثل قصصي في القرآن أنزل على محمد صلى

الله عـــليه وســـلم، فذلك لأن قوم يونس عليه السلام هم فقط القوم الذين صدقوا رسولهم وآمنوا به كما قال تعالى في سورة يونس: { فلولا كانت قرية ءامنت فنفعها إيمانهـــا إلا قـــوم يونس (٩٨)} ، وأما باقي الأنبياء فإن الله أهلك أقوامهم لأنهم لم يؤمنوا بالله و لم يصدقوا من أرسله اليهم، فكانت العبرة في القصص الأول ان يستبشر الرســـول محمـــد صلى الله عليه وسلم من قومه خيراً وأن مآلهم الدخول في دين الله أفواجاً، وأن الله يأمره أن يصبر على قومه كما صبر يونس عليه السلام على قومه.

رابعـــاً: إذا كـــان تاريخ نزول السورة مكية فكل آيات السورة مكية أيضاً، وما يســـتثنى منها على أنها آيات مدنية تحتاج إلى دليل نقلي صحيح السند والمعنى، ولا يتوفر مثل هذا الدليل لهذه الآيات من سورة القلم.

ولذا فقد رجح القول بمكية هذه الآيات الدكتور أحمد عباس بدوي قائلاً: "إني لم أجـــد أثـــرا واحدا يدل على كونها نزلت بالمدينة، ثم إنا ألفنا هذا اللون من التوجيه الـــرباني في أســـلوب القرآن في عهده المكي، فالأمر بالصبر وتحمل أذى المشركين وضـــرب المثل بالرسل السابقين، كل ذلك يجعلنا نرجح أن هذه الآيات مرتبطة بجو سورتها، جو العهد المكي، فالسورة مكية بلا استثناء" (١).

وأمـــا مـــا قيل إن الآيات مدنية وأنها نزلت بعد تاريخ نزول أوائل سورة القلم بأكـــثر من عشر سنين فأمر مستبعد، والقول بأن تأخر نزولها لضرورة تتعلق بالدعاة وليس بالنبي صلى الله عليه وسلم بحجة أنه عليه السلام قال الله فيه في أول السورة: { وإنك لعلى خلق عظيم }، فأقوال تحتاج إلى مراجعة علمية مستقيمة والله اعلم.

وقـــد نبه الباقلاني على فوائد كثيرة متعلقة بتكرار القصص القرآني (٢) وكذلك غـــيره مـــن العلماء (١)، ولكنا لم نجد أحداً يشير إلى أهمية المناسبة التاريخية لنـــزول

---

(١) البدوي: أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها ١٢٩.

(٢) الباقلاني : الانتصار ٢ / ٨٠٠.

القصـــة أول مرة ثم تكرارها بألفاظ ومعان مختلفة، وأن مرد ذلك يعود إلى المناسبة الـــتاريخية لمراحل الدعوة الإسلامية في العهد النبوي فالحمد لله على ما وفقنا إليه إنه نعم المولى وهو العليم الخبير.

ولســـنا في هـــذا البحث بصدد تتبع هذا الأمر بتفصيله، إنما نهدف إلى بيان توفر روايات المكي والمدني وما لها من أثر على إثراء علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم، وأن علم المكي والمدني منهج تاريخي ثابت في علوم القرآن.

(١) انظـــر القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان ـــ عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧ م.

الفصل الرابع

علم أسباب النــزول

معـــرفة أسباب النـــزول من أنواع علوم القرآن التي صنفت فيها كتب مستقلة، وفيها روايات كثيرة تصب في روايات علم تاريخ نزول القرآن الكريم، لما ورد فيها مـــن أخـــبار كثيرة عن الصحابة الذين عايشوا النـــزول والتابعين الذين سمعوا من الصحابة مباشرة عن قصة الإسلام في أيامه الأولى وما فتح الله تعالى على المؤمنين من نصـــر مـــبين، ومن أوائل ما صنف في هذا الموضوع كتاب أسباب النـــزول لأبي الحســـن الواحـــدي النيســـابوري، الذي قال : (فآل الأمر بنا إلى إفادة المبتدئين المتســـترين بعـــلوم الكـــتاب، إبانة ما نزل فيه من الأسباب، إذ هي أوفى ما يجب الوقـــوف عـــليها، وأولى ما تصرف العناية اليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد ســـبيلها، دون الوقـــوف على قصتها وبيان نزولها، ولا يحل القول في أسباب نزول الكـــتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنـــزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب... وذلك الذي حدا بي إلى إملاء هذا الكتاب الجامع للأسباب لينتهي إليه طالبو هذا الشأن، والمتكلمون في نزول القرآن، فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب، ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب، ولا بد من القـــول أولا في مبادئ الوحي، وكيفية نزول القرآن، ابتداء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعهد جبريل إياه بالتنـــزيل والكشف عن تلك الأحوال، والقول فيها عـــلى طريق الإجمال ثم نفرغ القول مفصلا في سبب نزول كل آية روي لها سبب مقول، مروي منقول، والله تعالى الموفق للصواب) (١).

---

(١) الواحـــدي : ابـــو الحســـن علي بن احمد الواحدي النيسابوري، أسباب النـــزول، عالم الكتب، بيروت، ٩.

وقال ابن تيمية: (ومعرفة سبب النـــزول تعين على فهم الآية، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رجع إلى سبب يمينه وما هيجها وأثارها، وقولهم (نزلت الآية في كذا) يراد به تارة انه سبب النـــزول، ويراد به تارة أن هذا داخل في الآية وان لم يعرف السبب، كما تقول عنى بهذه الآية كذا)) (١).

وتحـــت العـــنوان نفسه قال الزركشي: (وقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم، وأفـــردوا فيه تصانيف... وأخطأ من زعم انه لا طائل تحته، **لجريانه مجرى التاريخ**، وليـــس كذلـــك، بل له فوائد: منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصـــيـــص الحكـــم عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى) (٢).

وممـــا جاء في كتب أصول الفقه قول الشاطبي : (معرفة أسباب التنـــزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران :

(أحدهمـــا) أن عـــلم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز القرآن، فضلا عن معـــرفة مقاصـــد كـــلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال : حال الخطـــاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب، أو الجميع، إذ الكلام الواحـــد يختـــلف فهمـــه بحســـب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام، لفظه واحد، ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخلـــه معـــنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمـــور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل ولا كل قرينة

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٧٢٨ هـ)، مقدمة في اصول التفسير، نشرها قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة ١٣٩٧، القاهرة، ١١.

(٢) الزركشي : البرهان ١ / ٢٢.

تقـــترن بـــنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، وينشأ عن هذا الوجه.

(الوجـــه الثاني) وهو أن الجهل بأسباب التنـــزيل موقع في الشبه والإشكاليات ومُـــورِد للنصـــوص الظاهرة مَورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع التراع.

ويوضح هذا المعنى ما روى أبو عبيد عن إبراهيم التيمي، قال خلا عمر ذات يوم، فجعل يحدث نفسه : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ! إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما نزل وإنه سيكون بعدنـــا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا.

قـــال : فزجره عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال، فعرفه، فأرســـل اليه، فقال : أعد عليَّ ما قلت ! فأعاده عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه) (١).

وقد يسر الله تعالى استخراج كتاب :" أسباب نزول القرآن ومناسباتها وتاريخها" من كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق[٢]، وحيث إن وفاة ابن إسحاق رحمه الله سنة (١٥٢ هـ) فـــإن هذا الكتاب يعد أول كتاب فيه تاريخ نزول آيات القرآن وسوره، وأقـــدم كتاب في أسباب نزول القرآن، ففي الكتاب روايات كثيرة تبلغ نحو ثلاثمائة وســـبعة وسبعين سببا ومناسبة، فروايات أسباب النـــزول فيه كثيرة كما في كتاب

(١) الشاطبي : الموافقات ٣ / ٣٤٧.

[٢] جمع وإعداد: عمران سميح نزال.

أسباب النـــزول للواحدي وكتاب العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني [١]، وكـــتاب لـــباب النقول في أسباب النـــزول للسيوطي بل إن الكتب المذكورة أخذت من روايات ابن إسحاق بالتأكيد، وكذلك روايات كتب التفسير والحديث وكـــتب المغازي والسير والطبقات والتاريخ فقد أخذت عن روايات ابن إسحاق في أسباب نزول القرآن وغيرها.

وما يجب التنبيه إليه أن روايات أسباب النـــزول لم تحقق كاملة وأن منها روايات لا تخلو من عيوب في سندها و علل في متنها [٢].

وممـــا يجب التنبيه له أيضاً أن هذا العلم لا يتوقف على الرواية كما سبق وذكرناه مـــن قـــول الواحدي، فإن حصر معرفة سبب النـــزول على الرواية فقط يغلق على المجـــتهد آفاقاً كثيرة يتطلبها فهم الآية والمناسبة التنـــزيلية والتاريخية والموضوعية التي نزلت فيها، والأولى فهم قصة الآية من القرآن أولاً وليس من رواية سبب النـــزول فقط، لأن رواية سبب النـــزول شاهد على القصة وليست صانعة للقصة، ونستعمل كـــلمة القصـــة هنا مقابل سبب النـــزول لنؤكد على المعنى القرآني للكلمة في قوله تعالى من سورة يوسف: { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ . . . (١١١)}، أي أننا ندرس القصة القرآنية للآية في العهد النبوي لنعلم العبرة من نزول الآية ســـواء أكان للقصة سبب مروي أم لم يكن، فالقصة أعم من السبب، لأن السبب جزء من القصة وليس كل القصة ولا يعبر عنها كلياً بل جزئياً.

وعـــندما نقـــول إن علم أسباب النـــزول أحد مصادر علم تاريخ نزول القرآن فالمقصـــود الأسباب والقصص وكلها تتطلب الفهم والاجتهاد، فلئن لم يتمكن علم

---

(١) العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ١ ـــ٢، تحقيق عبدالحكيم محمد الأنيس نشر دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـــ ١٩٩٧م.

(٢) انظر كتاب: أسباب نزول القرآن دراسة وتحليل تأليف الدكتور عبدالرحيم أبو علبة.

أســباب النــزول من التوسع عن الروايات كما حده أول من صنف فيه ــ أقصد الواحــدي ــ فإن علم تاريخ النــزول لا تحده الروايات فقط لأنه علم جامع لعلوم القرآن كافة.

ومــا الــنقد الموجــه في مصنفات علماء أسباب النــزول لمصنفات بعضهم إلا لحصرهم علم أسباب النــزول في مجال الرواية فقط [١].

(١) انظر كتاب الدكتور صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ١٣٥.

الفصل الخامس

علم الناسخ والمنسوخ

أكثر المتقدمون من التصنيف في الناسخ والمنسوخ، وهو العلم الذي لا يثبت إلا بالتاريخ، سواء أكان ثبوته رواية أو دراية، أي نقلياً أو عقلياً، فلا يسبق الناسخ المنسوخ في التاريخ، وأكثر روايات الناسخ والمنسوخ آثار موقوفة أو مقطوعة.

ومن أوائل المصنفين في هذا العلم أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤ هـ)، ذكر في الباب الأول فضل علم ناسخ القرآن ومنسوخه، وروى فيه: (قال: حدثنا عبدالرحمن بن مهدي قال : حدثنا سفيان عن ابي حصين عن ابي عبدالرحمن السلمي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرَّ بقاص يقص فقال: هل علمت الناسخ والمنسوخ ؟ قال : لا، قال : هلكت وأهلكت) [١].

وروى نحوه أبو جعفر النحاس (٣٣٨ هـ)، الذي عقد في كتابه باب الترغيب في تعلم الناسخ والمنسوخ قال فيه : ((دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسجد فإذا رجل يخوف الناس فقال ما هذا ؟ قالوا : رجل يذكر الناس. فقال ليس برجل يذكر الناس ولكنه يقول أنا فلان ابن فلان فاعرفوني، فأرسل إليه : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ فقال : لا. قال فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه) وفي رواية أخرى (قال.. انتهى علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رجل يعظ الناس فقال : أعلمت الناسخ والمنسوخ ؟ قال : لا. قال هلكت وأهلكت)) [٢].

---

(١) الهروي : أبو عبيد القاسم بن سلام، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز، تحقيق محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ٤.

(٢) أبو جعفر النحاس : الناسخ والمنسوخ، ٧.

وقد روى المظفر بن الحسين بن خزيمة الفارسي في كتابه الموجز في الناسخ والمنسوخ، ما يوضح رواية أبي جعفر النحاس، فقال ابن خزيمة : ((اعلم أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ كتاب الله عز وجل إلا بعد أن يعرف الناسخ منه والمنسوخ، لأنه إن جهل ذلك أحل الحرام وحرم الحلال وأباح المحظور وحظر المباح، وهو معنى قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لعبد الرحمن بن داب : هلكت وأهلكت، وكذلك قال لكعب الأحبار وذلك ما حدثني.. محمد بن مرثد قال أنبأنا محمد بن إسماعيل قال أنبأنا محمد بن حامد قال حدثنا يحيى بن خالد قال حدثنا منصور عن قتادة عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه مر بكعب الأحبار وهو يقص فقال له : يا أبا إسحاق.. أما أنه لا يقعد هذا المقعد إلا أمير أو مأمور، فمكث أياما ثم رجع فوجد كعباً يقص على جماعة فمنهم مغشي عليه ومنهم باك، قال علي : يا أبا إسحاق ألم أنهك عن هذا المقعد، أتعرف الناسخ والمنسوخ، قال : الله أعلم، قال هلكت وأهلكت.. وبلغني أن حذيفة بن اليمان قال لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور أو رجل عرف الناسخ والمنسوخ والرابع متكلف أحمق)) [1].

قال ابن الجوزي : (فإن نفع العلم بدرايته لا بوراثته، وبمعرفة أغواره لا بروايته، **وأصل الفساد الداخل على عموم العلماء تقليد سابقيهم**، وتسليم الأمر إلى معظميهم، من غير بحث عما صنفوا ولا طلب للدليل عما ألفوه، وإني رأيت كثيرا من المتقدمين على كتاب الله عز وجل بآرائهم الفاسدة، وقد دسوا في تصانيفهم للتفسير أحاديث باطلة وتبعهم على ذلك مقلدوهم، فشاع ذلك وانتشر، فرأيت العناية بتهذيب علم التفسير عن الأغاليط من اللازم...

---

[1] ابن خزيمة : المظفر بن الحسين بن زيد بن علي بن خزيمة، كتاب الموجز في الناسخ والمنسوخ، مطبوع بعد كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن لأبي جعفر النحاس في مجلد واحد، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، بيروت، ٢٦٢.

ثم أني رأيت الذين وقع منهم التفسير صحيحاً قد صدر عنهم ما هو أفظع فآلمني، وهو الكلام في الناسخ والمنسوخ، فإنهم أقدموا على هذا العلم فتكلموا فيه، وصنفوه ؟، وقالوا بنسخ ما ليس بمنسوخ، ومعلوم أن نسخ الشيء: رفع حكمه، وإطلاق القول برفع حكم آية لم يرفع جرأة عظيمة) [١].

ثم ذكر ابن الجوزي خمسة شروط معتبرة في ثبوت النسخ، قال في الشرط الثاني منها : (أن يعلم بطريق التاريخ، وهو أن ينقل بالرواية بأن يكون الحكم الأول ثبوته متقدما على الآخر) [٢].

قال أبو جعفر النحاس:(حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس أن سورة (القدر) و (لم يكن ـــ البينة ـــ) مدنيتان وأن (إذا زلزلت الأرض زلزالها) إلى آخر (قل يا أيها الكافرون) مكية وأن (إذا جاء نصر الله) إلى آخر (قل أعوذ برب الناس) مدنية.

وقال كريب وجدنا في كتاب ابن عباس أن من سورة (القدر) إلى آخر القرآن مكية إلا (إذا زلزلت الأرض، وإذا جاء نصر الله، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس) فإنهن مدنيات.

وقال أبو جعفر : لم يجد فيهن ناسخا ولا منسوخا وإذا تدبرت ذلك وجدت أكثرهن وأكثر ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ إنما هو فيما لا يجوز أن يقع فيه نسخ لأنه لا يجوز أن يقع نسخ في توحيد الله عز وجل ولا في أسمائه ولا في صفاته والعلماء يقولون ولا في أخباره ومعناه ولا في أخباره بما كان وما يكون.

---

(١) ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ٥٩٧ هـ، نواسخ القرآن، تحقيق محمد الملباري، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ، ٧٤.

(٢) ابن الجوزي : نواسخ القرآن ٩٦.

والحكمة في هذا أن النسخ إنما يكون في أحكام الشرائع من الصلاة والصيام والحظر والإباحة وقد يجوز أن ينقل الشيء من الأمر إلى النهي ومن النهي إلى الأمر لأنك إذا قلت افعل كذا وكذا محرم عليك سنة جاز أن تبيحه بعد سنة وإذا قلت افعل كذا وكذا محرم عليك وأنت لا تريد وقتا أو شرطا فكذا أيضا سواء عليك ذكرته أم لم تذكره فهذا محال في توحيد الله عز وجل وأسمائه وصفاته وإخباره بما كان وما يكون.

ألا ترى أنه محال أن تقول قام فلان ثم تقول بعد وقت لم يقم لأنه لم يقع في الأول اشتراط ولا زمان فالنسخ في الإخبار بما كان وما يكون كذب وفي الأمر والنهي أيضا مما لا يقع فيه نسخ وذلك الأمر بتوحيد الله عز وجل واتباع رسله صلى الله عليهم أجمعين، وخص محمدا نبي الرحمة بالصلاة والتسليم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه بإحسان وفضل وكرم والحمد لله رب العالمين.) [١].

ومدار اختلاف العلماء في عدد الآيات الناسخة والمنسوخة بسبب اختلافهم في تعريف النسخ لغة واصطلاحا [٢] من جهة، وبسبب طرق إثبات النسخ من جهة أخرى، فمنهم من يثبت النسخ بالدليل النقلي مما ورد في روايات النسخ عن النبي صلى الله عليه وسلم أو آثار الصحابة أو التابعين، ومنهم من يثبته دراية وعقلاً، والصواب أن يكون لكلا الطريقين ضوابط علمية معتمدة من مجلس علمي مؤهل، فلا بد من صحة الرواية ولا بد من صحة الدراية، ولا بد أن تخضع الطريقتان لعلم تاريخ النزول، أي لا بد من التأكد من الفوارق الزمنية للمناسبات التاريخية والمناسبات التنزيلية والمناسبات الموضوعية [٣] حتى يصح وقوع النسخ.

---

(١) النحاس : الناسخ والمنسوخ ٢٦٠.

(٢) الدكتور صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ٢٦٠.

(٣) انظر الفصل التالي : علم المناسبة، لمعرفة معاني هذه المصطلحات في هذا العلم.

لـــذا فإن علم الناسخ والمنسوخ علم مطرد مع علم تاريخ نزول القرآن، فإذا ثبت النســـخ للآية فإن كانت منسوخة فهي متقدمة في النـــزول وإن كانت ناسخة فهي مـــتأخرة في الـــنـــزول حـــتماً، وكذلك إذا ثبت التاريخ لنـــزول آيتين في المناسبة التاريخية أو التنـــزيلية فالآية اللاحقة ناسخة للسابقة حتما.

مـــثال ذلـــك قولهم إن الآية: { وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُســـهِنَّ أَرْبَعَـــةَ أَشْـــهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُســـهِنَّ بِالْمَعْـــرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) }، ناسخة للآية: { وَالَّذِينَ يُـــتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَـــرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)} من سورة البقرة [١]، والمناسبة التنـــزيلية للآيتين في القرآن أن الآية (٢٤٠) نزلت بعد الآية (٢٣٤)، فكيف يقال بالنسخ ؟

فـــإذا علم أن الآية الأولى (٢٣٤) تتكلم عن عدة الوفاة على الزوجة أن تتربص أربعة أشهر وعشراً فلا تتزوج قبل انتهائها، والآية الثانية (٢٤٠) تتكلم عن الوصية في النفقة على الزوجة بعد وفاة الزوج وليس عن عدة الوفاة للزوجة، ظهر أن القول بالنسخ بين الآيتين غير واجب رواية ولا دراية ، وأن الناسخ لآية الوصية للزوجة من ســـورة البقرة، هي آية المواريث من سورة النساء: { وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَـــا أَوْ دَيْـــنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْـــرَأَةٌ وَلَـــهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ

(١) أبو عبيد بن سلام: الناسخ والمنسوخ في القرآن ١٢٩ ، مكتبة الرشيد، الرياض.

شُـــرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ(١٢) } ، كما قال ابن عباس [١].

وللســـخاوي في جمالـــه[٢] والزركشـــي في بـــرهانه [٣] والسيوطي في إتقانه [٤] والـــزرقاني في مـــناهله [٥] وكثير من العلماء [٦] مباحث مفيدة في هذا العلم وكلها مجمعة على صلته بالتاريخ.

---

(١) أبـــو عبيد القاسم بن سلام: الناسخ والمنسوخ ١٣٠. ومختصره ٣٠ ، اختصار وعناية هالة محمد علي العبدالله ، دار الفتح ، عمان الأردن ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م.

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء : لأبي الحسن علي السخاوي ، الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ ٢ / ٥٨٥.

(٣) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٢ / ٢٨.

(٤) السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ٢ / ٣١.

(٥) الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ٢ / ١٩١.

(٦) انظـــر مثلاً صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن، وجواد عفانه : الرأي الصواب في منسوخ الكتاب، وملا حويش، بيان المعاني، ٣٨/١، وفيه تبيين أسباب كثرة القول بالنسخ.

الفصل السادس

علم المناسبة

معرفة المناسبة هو عنوان نوع من أنواع علوم القرآن في كتاب البرهان جاء فيه: ((واعلم أن المناسبة علم شريف، تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللغة: المقاربة... وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها ــ والله اعــلم ــ إلى معنى رابط بينهما: عام وخاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلــك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والــنظيرين، والضــدين، ونحوه. أو التلازم الخارجي، كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر.

وفائدتــه جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء.

وقد قلَّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخرالدين الرازي وقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط.

وقــال بعــض الأئمــة : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، لئلا يكون منقطعا، وهذا النوع يهمله بعض المفسرين، أو كثير منهم، وفوائده غزيرة.

قال القاضي أبو بكر بن العربي في (سراج المريدين) : ارتباط آي القرآن بعضها بــبعض حتى تكون، كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم)) (١).

وقــد أصاب من العلماء من قال بأهمية هذا النوع من علوم القرآن، بل إن بحث المناســبة جدير أن يكون علماً مستقلاً مثل علم أسباب النــزول ، قال السيوطي:

---

(١) الزركشي : البرهان ١ / ٣٦.

"أفـــرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير ــ شيخ أبي حيان ــ في كتاب سماه " البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" ، وبرهان الدين البقاعي في كتاب سماه " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" وكتابي الذي صنعته في أسرار التنـــزيل" [١].

وفي هـــذا الفصـــل نبين أن علم المناسبة مع علم أسباب النـــزول هما في الحقيقة الـــلذان يمثلان علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره، فالقصة القرآنية سبب ومناســـبة، لذا نعرف علم المناسبة فنقول : علم مناسبة نزول القرآن ونقصد به العلم الذي يبحث في المناسبات التاريخية والمناسبات التنـــزيلية والمناسبات الموضوعية.

فعـــلم المناســـبة هـــو علم ترابط القرآن بعضه ببعض، ترابط الآيات في السورة الواحـــدة وتـــرابط السور كلها في ترتيب النـــزول، وليس ترابطه كما هو الآن في المصـــحف الإمـــام، ولا شك أن في ترتيب المصحف تناسباً بحث فيه المفسر برهان الدين ابراهيم البقاعي (٨٨٥ هـ) في كتابه :(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) [٢]، ولكـــن عـــلم المناســـبة الذي نقصده المناسبة التنـــزيلية والتاريخية والموضوعية وغيرها، فهذه المناسبات هي أنواع هذا العلم الرئيسة وهي :

أولاً : **المناسبة التنـــزيلية** وهو اقتران الآية بما قبلها وما بعدها في السورة الواحدة بعلاقة تربطهما في سياق النـــزول أو في ترتيب النـــزول في نفس السورة، أي الحالة الـــتي نجـــد الآية أو الآيات عليها في كل سورة من سور القرآن الكريم، فمصطلح **المناســـبة التنـــزيلية** يأخذ بعين الاعتبار الموضع الذي توجد فيه الآية بالنسبة لآيات أخـــرى قبلها أو بعدها، وهذا الموضع من الله تعالى لقوله في سورة الفرقان: { وَقَالَ الَّذِيـــنَ كَفَـــرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَـــرْتِيلاً (٣٢)}، فرتلـــناه أي جعلناه متتابعا في آيات وسور، وقوله تعالى في سورة

---

(١) السيوطي : الإتقان ٢ / ٣٠٠.

(٢) طبع التفسير بعناية عبدالرزاق غالب المهدي، نشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ.

الإسراء: { وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تنـــزيلاً (١٠٦) }، والتنـــزيل جعله في الأمكنة والأزمنة التي يختارها المولى عز وجل.

ثانياً : **المناسبة التاريخية** ويقصد بها موضع ذكر الآية مقرونة بالحدث التاريخي في كتب السيرة النبوية.

مـــثال: قال ابن إسحاق: (وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم ومـــا كانوا أجمعوا له : { وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٣٠)} [سورة الأنفال][١].

وكـــان قصـــد ابن إسحاق في ذلك اليوم يوم الهجرة من مكة إلى المدينة، فالمناسبة التاريخية لهذه الآية مكر دولة قريش الكافرة (الذين كفروا) في دار الندوة لـمـــا بلغها يوم هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى دولة المؤمنين (الذين آمنوا) في المديـــنة، بهدف قتله حتى لا يهاجر وتقوى دعوته، وتاريخ نزول سورة الأنفال بعد غزوة بدر وقبل غزوة أحد أي بعد السابع عشر من رمضان للسنة الثانية من الهجرة، أي أن الآية تتحدث عن ماض وقع يوم الهجرة، فالمناسبة التنـــزيلية هنا متأخرة عن المناســـبة التاريخية لأن تاريخ نزولها بعد معركة بدر بحكم المناسبة التنـــزيلية لسورة الأنفال، إن كانت هذه الآية نزلت في ذلك الوقت.

ويقصد بالمناسبة التاريخية أيضاً نزول الآيات في أحداث وقصص تاريخية مثل مـــا نزل من القرآن في الغزوات والفتوحات في العهد النبوي كما في فتح الحديبية ثم فـــتح مكة، فالمناسبة التاريخية لنـــزول الآية تتزامن مع الحدث التاريخي أو مع تاريخ الغزوة إلا إذا وجد مانع صحيح يحول دون ذلك.

ويقصد بالمناسبة التاريخية أيضاً معرفة تاريخ نزول الآية أو السورة من معرفة آية أخرى قبلها أو بعدها أو من تاريخ قصة الآية التي قبلها او بعدها، فإذا عرفنا على

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢ / ٤٨٤.

وجـــه الصحة تاريخ نزول آية ما فإن تاريخ نزول الآية التي تليها في نفس السورة لها نفس التاريخ إلا إذا وجد للآية تاريخ آخر ثبت بالنقل او بالعقل ضرورة.

ويقال هنا إن تاريخ نزول الآية هو التاريخ كذا بحكم المناسبة التاريخية، أي أنـــنا نحكـــم على أن تاريخ نزول الآية التالية بنفس تاريخ نزول الآية السابقة بحكم مناسبة القصة وبحكم مناسبة الترتيب في القرآن لأنهما وجدتا في سياق قرآني واحد.

فالمناسبة التاريخية تلتقي مع المناسبة التنـــزيلية في سياق النـــزول في السورة الواحـــدة وفي سياق الحدث التاريخي للقصة الواحدة، إلا إذا وجد مانع صحيح من رواية حديث صحيح أو تعليل عقلي قاطع.

فمصـــطلح **المناسبة التاريخية** يعرف من موضع ترتيب الآية في قصة الإسلام والســـيرة النبوية الشريفة، ويحكم به على تاريخ نزول الآيات التي ذكر نزولها دون ذكـــر لـــتاريخ نزولها، ونزولها قبل حادثة ثابتة في السيرة ومعلوم لنا تاريخها فتاريخ نزول الآية قبل هذه الحادثة وهذا الحكم هو **حكم المناسبة التاريخية**.

ويكـــن أن تختلف المناسبة التاريخية من مؤرخ لآخر وفي الغالب فإن المناسبة الـــتاريخية مشتركة في كتب السيرة والتاريخ، وحيث إن تاريخ النـــزول من مسائل الاجتهاد فإنها تضاف للقائل بها من المؤرخين أو تعزى لمصدرها.

ومثاله المناسبات التاريخية عند ابن إسحاق، وقد يكون للآية مناسبة تاريخية أخرى عند مؤرخ آخر مثل ابن سعد في طبقاته أو ابن جرير في تاريخه وهكذا.

ثالـــثاً : **المناســـبة الموضـــوعية** وهي معرفة موضع الآية بالنسبة لما نزل في موضـــوعها مـــن القرآن الكريم قبلها أو بعدها، وبخاصة في معرفة مراحل التشريع للمسائل العقدية والفقهية، ومثالها مراحل تحريم الخمر أو الربا أو القتال وغيرها، فلم يـــنـــزل تشريع واحد دفعة واحدة بل كان يتواصل النـــزول في القضية الواحدة في أكـــثر مـــن مناســـبة تنـــزيلية وتاريخية، إن علم المناسبة الموضوعية مفتاح للتفسير

الموضـــوعي لأنـــه يـــدرس الوحـــدة الموضوعية للسورة الواحدة في سياق الوحدة الموضوعية للقرآن كله بحسب ترتيب النـــزول.

قـــال السيوطي:(أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرىء عليه: لم جعلت هذه الآيـــة إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟) (١).

وكمـــا كان سؤاله عن الحكمة من جعل هذه السورة بعد هذه السورة في المصحف فيه فوائد كثيرة، فكذلك وجب السؤال عن الحكمة من نزول هذه السورة بعد هذه السورة في تاريخ نزول القرآن ؟

ومـــا يجدر التنبيه له أن علم المناسبة وعلم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره قـــائم عـــلى الاجتهاد وهو جزء من الاجتهاد العلمي لفهم الإسلام وميزته أنه فقه منهجي، أي أنه من أدوات الفهم في العقائد والفقه مثل أصول الفقه، ولذا فإن الأدلة الصحيحة حجة عليه وليس العكس.

وإذا بحثـــنا عـــن الصلة بين علم المناسبة وعلم أسباب النـــزول نجد أنهما علمان يكملان بعضهما بعضاً، أي أن علم المناسبة هو المكمل لعلم أسباب النـــزول فحيث لا يوجد سبب نزول يوجد بالضرورة مناسبة نزول، فآيات القرآن كله بين أسباب الـــنـــزول ومناسبات النـــزول، والجامع بينهما أن سبب النـــزول سبب إيجاد قبل نـــزول الآية ومناسبة النـــزول سبب غاية، أي أن نزول الآية سبب لإيجاد المطلوب وتحقيق المعاني التي تقصدها الآية.

---

(١) السيوطي: الإتقان ٢ / ٣٠٠.

وفي كتاب: أسباب نزول القرآن ومناسباتها وتاريخها عند ابن اسحاق الكثير من الأمثلة على علم المناسبة التاريخية والتنزيلية والموضوعية، وكأن الكتاب دراسة تطبيقة لهذا العلم.

لقد بينا فيما سبق صلة هذا العلم بعلم تاريخ النزول وبعض معاني هذا العلم وفوائده، وقد ذكرنا في الفصل السابق على أساس علم المناسبة عدم ضرورة القول بالنسخ بين الآيتين (٢٣٤) و(٢٤٠) من سورة البقرة، لأن المناسبة التنزيلية للآية التي قيل إنها ناسخة قبل المناسبة التنزيلية للمنسوخة.

قال بعضهم: ليس في القرآن ناسخ إلا والمنسوخ قبله في **الترتيب** إلا آيتين: آية العدة في البقرة ، وقوله تعالى من سورة الأحزاب: {لا يحل لك النساء (٥٢)} [(١)]، نسختها الآية (٥٠) من السورة نفسها وواضح أن المناسبة التنزيلية للآية الناسخة قبل المنسوخة فهل يصح ذلك ؟

قال الطبري:(اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: {لا يحل لك النساء من بعد} فقال بعضهم: معنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة،.. وقال آخرون: إنما معنى ذلك: لا يحل لك النساء بعد التي أحللنا لك بقولنا {يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك}... إلى قوله {اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي}. وكأن قائلي هذه المقالة وجهوا الكلام إلى أن معناه: لا يحل لك من النساء إلا التي أحللناها لك..، وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا يحل لك النساء من غير المسلمات؛ فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك...

وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد، بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي: {إنا أحللنا لك أوزاجك اللاتي آتيت

---

(١) السيوطي: الإتقان ٢ /٤٢.

أجورهن}.. إلى قوله: {وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي}. وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية، لأن قوله: {لا يحل لك النساء} عقيب قوله: {إنا أحللنا لك أزواجك} وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء، ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين، فعل الأخرى منهما.

فإذ كان ذلك كذلك ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى، ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة، لم يجز أن يقال: إحداهما ناسخة الأخرى. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن لقول من قال: معنى ذلك: لا يحل من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة، معنى مفهوم، إذ كان قوله {من بعد} إنما معناه: من بعد المسميات المتقدم ذكرهن في الآية قبل هذه الآية، ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر إباحة المسلمات كلهن، بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفيء الله عليه، وبنات عمه وبنات عماته، وبنات خاله وبنات خالاته، اللاتي هاجرن معه، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم، صح ما قلنا في ذلك، دون قول من خالف قولنا فيه)[١].

قال القرطبي:(اختلف العلماء في تأويل قوله: { لا يحل لك النساء من بعد } على أقوال.... أنها منسوخة بآية أخرى، روى الطحاوي عن أم سلمة قالت: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء من شاء، إلا ذات محرم، وذلك قوله عز وجل: { ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء}.

قال النحاس: وهذا والله أعلم أولى ما قيل في الآية.... وقد عارض بعض فقهاء الكوفيين فقال: محال أن تنسخ هذه الآية يعني {ترجي من تشاء منهن} {لا يحل لك

---

(١) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن

النساء من بعد} وهي قبلها في المصحف الذي أجمع عليه المسلمون ورجح قول من قال نسخت بالسنة) (١).

وقد أورد القرطبي الردود على أقوال فقهاء الكوفة فإذا علمنا أن تفسير الطبري لم يحـــتج إلى القول بالنسخ لعدم الضرورة لذلك صح القول بأنه لا يوجد نسخ وأن ما قاله فقهاء الكوفة اعتمد على المناسبة التنـــزيلية وهو اصح من الأقوال الأخرى.

قـــال السيوطي: وزاد بعضهم آية الحشر في الفيء الآية (٧)، وهي رأي من قال إنها منسوخة بآية القتال أي الأنفال الآية(٤١) (٢).

ومعـــلوم أن تاريخ نزول سورة الأنفال قبل تاريخ نزول سورة الحشر فكيف يقع النسخ ؟

قـــال القرطبي:(**وقد قيل إن سورة "الحشر" نزلت بعد الأنفال، فمن المحال أن ينســـخ المـــتقدم المتأخر**. وقال ابن أبي نجيح: المال ثلاثة: مغنم، أو فيء، أو صدقة، وليس منه درهم إلا وقد بين الله موضعه...) (٣).

قـــال القـــرطبي ذلك بعد أن ذكر أقوال العلماء بأن النسخ غير واجب في هذه الآيات، كما قال ابن أبي نجيح وابن العربي (٤).

---

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن

(٢) السيوطي : الإتقان ٢ / ٤٣.

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن

(٤) أبو بكر ابن العربي: أحكام القرآن ٤ / ١٧٧٣.

أي أن النســـخ **لا يقع بحال إذا تعارضت المناسبات التنـــزيلية**، وهناك غير هذه المعاني من علم المناسبة تتطلب البحث والدراسة ليس هنا موضع التوسع فيها، وفيما ذكـــره الزركشي في برهانه والسيوطي في اتقانه فوائد كثيرة لمن أراد التوسع في هذا العلم.

الفصل السابع

علم التفسير والحديث

اهـــتم علماء التفسير بتاريخ نزول السور والآيات ولكن على الإجمال وليس على التفصـــيل، وبخاصة إذا كان الكشف عن التاريخ سهلاً ميسوراً أو معروفا مشهورا ويكـــاد يكون خلافه منكراً ومستبعداً، وفيما يلي بعض الأمثلة، التي تبين أن كتب التفاسير مصدر مهم من مصادر علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم:

مـــثال ١: قول ابن كثير في التعليق على ما رواه الطبري حول تاريخ نزول سورة المزمل فقال: (قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثـــنا مهـــران قالا جميعا واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة حدثني محمد بن طحلاء عن أبي سلمة عن عائشة قالت: كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلى عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج كالمغضب وكان بهم رحـــيما فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل فقال "أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقـــون فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه" ونـــزل القرآن "يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه" حـــتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك **ثمانية أشهر** فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل.

ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة.

وهـــذا السياق قد يوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وإنما هي مكية.

وقوله في هذا السياق إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر **غريب** فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة..) [١].

مثال ٢ : قال القرطبي في تأويل قوله تعالى: {ووجدك عائلاً فأغنى } (أي فقيرا لا مال لك. {فأغنى} أي فأغناك بخديجة رضي اللّه عنها؛ يقال: عال الرجل يعيل عيلة: إذا افتقر...

وقيل: أغناك بما فتح لك من الفتوح، وأفاءه عليك من أموال الكفار. القشيري وفي هذا نظر؛ **لأن السورة مكية، وإنما فرض الجهاد بالمدينة.**)[٢]. أي أن القرطبي اعترض على تأويل القشيري بعلة تاريخية وهو أنه لم يكن فيء قتال في مكة والسورة مكية وليست مدنية.

مثال ٣ : قال ابن كثير بخصوص تاريخ نزول سورة الكوثر وأنها مدنية وقد ذكر حديث مسلم ولفظه فقال:(بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال "لقد أنزلت علي آنفا سورة" فقرأ {بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر} ثم قال "أتدرون ما الكوثر"؟ قلنا: الله ورسوله أعلم قال "فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول إنك لا تدري ما أحدث بعدك".

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة وأنها منزلة معها) [٣].

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٦٥.

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ج٢٠/ ٨٨.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٩٥.

ولم يذكـــر ابن كثير وجه الاستدلال، ولكن ذلك يعود في الغالب إلى أن راوي الحديث هو أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة وأن ذلك لم يكن إلا في المدينة والله أعلم.

هذه بعض الأمثلة من كتب التفسير وأقوال المفسرين في التعليل بالمكي والمدني في رد روايـــة أو تـــرجيح تفســـير على غيره وهي كثيرة في كتب التفسير، أي أن النظرة التاريخية أخذت بعين الاعتبار بين المفسرين.

وأمـــا في الحديث فالدلالة في الروايات على الزمان والمكان أي على التاريخ غير صريحة بصورة عامة، ولكنها متضمنة فيها في الغالب، ومنها :

قـــال مسلم :(حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى الصَّدَفِيُّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو ابْنُ الْحَارِثِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلالٍ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الآيَةِ { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ } إِلاَّ أَرْبَعُ سِنِينَ)[1].

في هذا الحديث النص على تاريخ النـــزول صريح بأربع سنين من إسلامهم.

وقال الإمام أحمد: (حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عـــبد الله قال لما نزلت هذه الآية {الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم . . (٨٢)} [الأنعـــام]، شق ذلك على الناس وقالوا: يا رسول الله فأينا لا يظلم نفسه؟ قال إنه ليـــس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح {يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (١٣)} [لقمان]، إنما هو الشرك)[2].

---

(١) مســـلم: صـــحيح مسلم، كتاب التفسير، رقم (٧٤٦٦)، ٣٥٦/١٨، دار المعرفة بيروت، تحقيق خليل مأمون شحا، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(٢) ابـــن حنبل : المسند : رقم (٣٥٨٩)، ٦ / ٦٨، ورقم (٤٠٣١)، ٧/ ١٢٩، مؤسسة الرسالة ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

في هـــذه الرواية الصحيحة الدلالة التاريخية المتضمنة تجعل تاريخ نزول آية سورة لقمان قبل تاريخ نزول آية سورة الأنعام.

قال البخاري :(حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن إبراهـــيم عـــن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُـــلْمٍ أُولَـــئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ(٨٢)} قال أصحابه وأينا لم يظلم نفسه؟ **فترلت** {إن الشرك لظلم عظيم}) [1].

وهـــذه الـــرواية تجعل تاريخ نزول آية سورة لقمان بعد تاريخ نزول آية سورة الأنعام لأن الآية الأولى نزلت بسبب الآية الثانية.

وفي كـــتب الحديث كثير من هذه الروايات التي تجمع تفسير أو سبب أو مناسبة نزول آيتين بينهما صلة تاريخية أو تتضمن معلومة تاريخية عن زمن النـــزول.

وأمـــا عـــلى صعيد علم الحديث نفسه فإن علم ورود الحديث الذي يقابل علم أســـباب النـــزول في علوم القرآن فيه روايات تتحدد فيها النظرة التأريخية، لأن علم الـــورود يتكلم عن قصة الورود، والقصة حدث تاريخي في أهم أبعادها، وأشهر ما كتب في الموضوع كتاب البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث في ثلاث مجلدات تأليف ابن حمزة (١١٢٠هـ) [2]، ووجه الحاجة إلى هذا العلم أن من السنة ما تزامن فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم مع نزول الآية، فإذا عرف تاريخ قول النبي صلى الله عليه وسلم للحديث عرف تاريخ نزول الآية.

قـــال الشافعي : وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كتاب الله وجهان : مـــنها ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه فلم يحتج مع التنـــزيل فيه إلى غيره، ومنها

---

(١) البخاري : صحيح البخاري: كتاب التفسير رقم (٤٦٢٩)، ٥ / ٢٣٠.

(٢) ابـــن حمـــزة: الشريف ابراهيم بن محمد بن كمال الدين الشهير بابن حمزة، نشر المكتبة العلمية ، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠٢م ـــ ١٩٨٢م.

ما أتى على غاية البيان في فرضه وافترض طاعة رسوله فبين رسول الله عن الله كيف فرضه وعلى من فرضه ومتى يزول بعضه ويثبت ويجب [١].

وهذا البيان الأخير يقول إذا عرف سبب ورود البيان أي البيان النبوي للآية فإنه يكشف عن تاريخ نزول الآية، وقد كتب الدكتور محمد رأفت على دراسة بعنوان: أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس [٢]، نبه إلى ارتباط سبب النزول وسبب الورود وذكر أمثلة مفيدة في ذلك.

---

(١) الشافعي : محمد بن إدريس ، الرسالة ٣٢، تحقيق أحمد شاكر.

(٢) صدرت الدراسة عن كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر رقم (٣٧)، الطبعة الأولى بتاريخ جمادى الأولى ١٤١٤هـ.

الفصل الثامن

علم المغازي والسير والتاريخ

أول من نبه إلى دور علم المغازي والسير بتاريخ نزول القرآن هو علامة السيرة ابن إسحاق ومهذبها وشارحها ابن هشام رحمهما الله تعالى، فقد بين ابن هشام منهجه في شرحه وتهذيبة كتاب السيرة وموقفه من سيرة ابن إسحاق فقال:(وأنا إن شاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولده وأولادهم لأصلابهم الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب:

١ـــ مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر.

٢ ـــ **ولا نزل فيه من القرآن شيء.**

٣ ـــ وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار.

٤ ـــ وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته.

٥ ـــ ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به)[1].

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ١ / ٤.

قولـــه: (ولا نزل فيه من القرآن شيء)، يوضح اهتمام علماء السيرة الكبار مثل ابـــن اسحاق وابن هشام وهما من أوائل من كتب في السيرة النبوية الشريفة بما نزل من القرآن متزامناً مع تواريخ السيرة وأحداثها.

وروايـــات علم المغازي والسير كثيرة ومتقدمة في التأليف عن تاريخ نزول آيات وســـور القـــرآن بأسبابه ومناسباته عن كتب علوم القرآن، فليست محصورة بما هو متعلق بالشمائل النبوية وأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته فقط، بل لا يخلو كتاب في السيرة من معرفة متعلقة بالقرآن الكريم ومن هذه الكتب:

الشـــمائل النـــبوية والخصائل المصطفوية للمحدث الترمذي (٢٧٩هـ)، وكتاب أخلاق النبي وآدابه للأصبهاني (٣٦٩هـ) وغيرها.

وأما الكتب التي تركز على السير المغازي والأحداث الدعوية الفكرية والعسكرية والتي تمثل المناسبات التاريخية لنـــزول آيات القرآن فمنها :

مغـــازي ابـــن إســـحاق (١٥٢هـ) ومهذبها ابن هشام (٢١٣هـ) في السيرة كما ذكرنا، وكتاب المغازي للواقدي (٢٠٧هـ) وغيرها.

ومـــن الكتب المفيدة أيضاً كتب الطبقات وأهمها الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٠هـ)، ومنها كتب التاريخ وأهمها كتاب تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري (٣١٠هـ)، والمنـــتظم في تـــاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٥٩٧ هـ)، وتاريخ الـــبداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ)، ففي هذه الكتب روايات كثيرة متصلة بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره.

الفصل التاسع

علم الرجال والتراجم والأعلام

ومـــن المصادر الممكنة لعلم تاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم، الكتب التي صـــنفت للـــتعريف بالذين آمنوا من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فقد كان تاريخ المسلمين في العهد النبوي حافلاً بالأحداث العظام والتضحيات الجسام، وتزامن ذلك مـــع نـــزول آيـــات وسور القرآن الكريم، فلما صنفت كتب الرجال ومن أهمهم الصحابة وفيها تاريخ ولادتهم وقصة إسلامهم ووفاتهم وما كان لأحدهم من دور في الأحـــداث في العهد النبوي بل وقبله وبعده أيضاً، اقترن مع ترجمة بعضهم ذكر ما نزل من القرآن في حقه من أسباب ومناسبات وفيما نزل وفيمن نزل القرآن.

ولأن الصـــحابة رضـــوان الله عـــليهم هم أوائل الذين آمنوا وهم الذين عاينوا التـــنـــزيل وشهدوا على زمانه ومكانه كما نقل عن غير واحد منهم، فإن شهادتهم كذلـــك شـــهادة المشارك لأحداث التاريخ في العهد النبوي المكي والمدني لذا فهي مصدر مهم لمعرفة ما نزل من القرآن الكريم.

ومن هذه الكتب واهمها:

ـــ فضائل الصحابة : للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل (٢٤١هـ).

انظر فيه الأثر رقم (١١٤١) [١].

ـــ تـــاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار ، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي (٣٥٤ هـ).

انظر فيه الترجمة رقم (٤٣١) [٢]، و الرقم (٨٨٤).

---

(١) نشر مؤسسة الرسالة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، ٢ / ٦٦٩.

(٢) نشر عباس أحمد الباز ـــ مكة المكرمة، بتحقيق بوران الضناوي، ص ٩٩.

ــ الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (٤٦٣ هـ).

ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعزالدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (٥٥٥ ــ ٦٣٠ هـ).

ــ سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨ هـ)

ــ الإصابة في تمييز الصحابة ، شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ).

وغير هذه الكتب كثير فقد لا تخلو كتب تراجم أفراد الصحابة من روايات ومعلومات مفيدة في علم تاريخ نزول القرآن.

وكما أن ترجمة الصحابي تفيد في معرفة التاريخ فقد تكون عاملا مهما في نقد الرواية التي قد يرد اسم الصحابي فيها و لم يكن عاصر القصة، إما لصغر سنه أو عدم إسلامه أو أن وفاته كانت قبل وقوع القصة التي قيل بترول القرآن فيها، لذا تعتبر هذه الكتب مصدراً لا يجوز تجاهله في معرفة وضبط تاريخ نزول بعض آيات القرآن الكريم كما هي مصدر مهم في معرفة رواة الحديث النبوي الشريف، ومعرفة علم علل الرواية في سندها ومتنها ، وقد عقد السيوطي عنواناً في أسماء من نزل فيهم القرآن إلا أنه لم يوفيه حقه (١)، بينما أكثر من ذلك ابن إسحاق في السيرة.

(١) السيوطي : الإتقان ٢ / ٤٣٤.

الباب الرابع

منهج البحث في علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره

الفصل الأول : طرق استنباط المعاني التاريخية من القرآن

الفصل الثاني : الجمع بين منهج المحدثين والمؤرخين

الفصل الثالث : استقراء الروايات وتصنيفها والتثبت من صحتها

الفصل الرابع : التلازم بين نزول القرآن وتاريخ نزوله

الفصل الخامس : النظرة التكاملية بين علوم القرآن

الفصل السادس : الأمانة والشجاعة العلمية

الفصل السابع : تذليل الصعاب ومعالجة المشكلات علمياً

الفصل الأول

طرق استنباط المعاني التاريخية من القرآن

لم يذكـــر القـْـرآن الكريم صراحة تاريخ نزول آية أو سورة قرآنية، بل لم يذكر صراحة تاريخ حادثة واحدة من يوم خلق الله تعالى السماوات والأرض إلى قصة آدم عليه السلام ومن أتى بعده من الأنبياء والرسل حتى حادثة نزول القرآن في غار حراء وإلى تـــاريخ انـــتهاء نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، لأن القرآن قصد العبرة وليس المعرفة التاريخية نفسها.

وكذلـــك فإن علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن لا يهدف إلى المعرفة التاريخية إلا من أجل العبرة التشريعية في تتابع معاني القرآن ومعرفة أسبابه ومناسباته ومتقدمه ومتأخره وناسخه ومنسوخه وذلك لا يكون دراسة متكاملة إلا بمعرفة تواريخ نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم.

ومـــا كتـــبه المؤرخـــون في تحديد التواريخ في الأيام والأشهر والسنين والعقود والقـــرون اجتهاد منهم وليس على القطع واليقين، وفيما يخص تاريخ النبوة المحمدية والســـيرة العطرة ذكر المحدثون والمؤرخون روايات كثيرة فيها تحديد بعض أحداث الســـيرة ومـــن نـــزل فيهم قرآن، وبالنظر إلى أهمية هذه الروايات فإنها تُعَدُّ من أهم مصـــادر علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن لأنها شهادات شخصية رويت عمن شـــاهدوا الأحـــداث والمناســـبات وشـــاركوا فيها وكانوا من أهلها، ولكن هذه الشـــهادات التاريخية ليست المصدر الوحيد لمعرفة تواريخ النـــزول، لأن في الآيات القـــرآنية نفســـها معان تفيد المعنى التاريخي كما جاء في مناهج معرفة المكي والمدني ســـابقا وكما جاء في صيغ أسباب النـــزول في القرآن مثل يسألونك ويقولون وكل صيغ العبارات الجدلية التي دحضها القرآن في رده على الكفار والمشركين والمنافقين

وأهل الكتاب، فكل هذه العبارات يستنبط منها المعاني التاريخية التي لازمت وزامنت الحدث ووقعت فيه، وفيما يلي بعض الطرق التي يحكم بها من القرآن على تحديد التاريخ :

١ ـ النص في الآية على الكلمة الزمانية أو المكانية :

ورد في الآيات القرآنية النص على بعض الكلمات الزمانية مثل اليوم والشهر والأشهر وفيها المعنى التاريخي الصريح دون تحديد عينه، ومثاله قوله تعالى في سورة المائدة { الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا }، فالقرآن هنا يتحدث عن تاريخ يوم محدد ثبت في القرآن اسمه و لم يتعين تاريخه إلا في الرواية الحديثية أنه يوم الجمعة التاسع من شهر ذي الحجة سنة عشر للهجرة كما رواه البخاري عن ابن عمر عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما.

وكذلك قوله تعالى في الآية (١٨٥) من سورة البقرة: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ }، فيه النص على الشهر واسمه وليس فيه التعيين ومعلوم أن ذلك كان قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة.

٢ ـ الحكم بسبب ورود كلمات ظرفية زمانية أو مكانية في الآية : مثل (الآن) و(من قبل) و (من بعد) و (كنت) (وكنتم) وغيرها.

ومثاله قوله تعالى في سورة البقرة: { وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا **مِنْ قَبْلُ** يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ(٨٩) }، في الآية الدلالة التاريخية عما كان يقوله اليهود قبل نزول القرآن.

وقوله تعالى في سورة النساء: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ

مَغَـــانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ **مِنْ قَبْلُ** فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَـــبِيرًا(٩٤) }، أي كذلك كنتم قبل هذه الحادثة تخفون إيمانكم [١] فلا تستعجلوا في الحكم على الناس.

وقولـــه تعالى في سورة النحل: { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ **مِنْ قَـــبْلُ** وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(١١٨) }، فالآية تشير إلى ما قصه تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم قبل تاريخ نزول هذه الآية.

وقولـــه تعالى في سورة آل عمران: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ **مِنْ بَعْدِ** مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُـــلْ تَعَـــالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ(٦١) }، أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع أهل الكتاب إلى المباهلة إلا من بعد ما نزل عليه قرآن في حقيقة عيسى عليه السلام.

وقوله تعالى في سورة الأنفال: { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا **مِنْ بَعْدُ** وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَـــئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِـــيمٌ(٧٥) }، الآيـــة تتحدث عن الذين هاجروا بعد غزوة بدر التي نزلت بشأنها سورة الأنفال، وتتحدث عن الهجرة وكلاهما معنيان تاريخيان.

٣ ــ الحكم بالمناسبة التاريخية المتزامنة لحدث تاريخي متفق عليه :

ومـــثاله : نزول سورة الأنفال بعد غزوة بدر التي لم يختلف على تاريخها في شهر رمضـــان مـــن السنة الثانية للهجرة، فتاريخ نزول سورة الأنفال بعد الغزوة بحكم المناســـبة الـــتاريخية لـــلغزوة، وكذلك تاريخ نزول سورة آل عمران بحكم المناسبة الـــتاريخية لغزوة أحد، وتاريخ نزول سورة التوبة بحكم المناسبة التاريخية لغزوة تبوك وهكذا.

٤ ــ الحكم بالمناسبة التنـــزيلية إذا عرفت المناسبة التاريخية :

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم

ومعنى ذلك كما سبق بيانه في علم المناسبة، الحكم بتاريخ نزول آية أنه كذا بناء على أن تاريخ الآية التي قبلها هو كذا، وذلك في السورة القرآنية الواحدة فالآية التي يعلم تاريخ نزولها نحكم به على أنه أيضاً تاريخ نزول الآيات التي قبلها وبعدها إلا إذا وجد تاريخ نزول خاص لآية أو آيات أخرى من نفس السورة، فالأصل أن تاريخ نزول الآية هو تاريخ نزول سورتها وكذلك تاريخ نزول السورة هو تاريخ نزول آياتها إلا بمانع راجح دراية ورواية، فالآيات في سياقها لها نفس التاريخ بحكم المناسبة التنزيلية.

٥ ــ النص في الآية على تنزيل سابق :

مثاله قوله تعالى في سورة النساء : { وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ **وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ** فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧) }

قال المفسرون إن قوله تعالى: { وما يتلى عليكم } ما نزل في أول سورة النساء في أحكام المواريث، قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله { ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب. . .} الآية قالت: والذي ذكر الله أنه يتلى عليه في الكتاب. الآية الأولى التي قال الله {وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء} [١].

فالنص على ضرورة معرفة ما نزل من قبل وما يتلى عليهم من الكتاب قبل نزول هذه الآية، وهذا لا يتم من غير معرفة بتاريخ نزول آيات وسور القرآن الكريم، لا

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، وانظر صحيح البخاري، رقم (٢٣١٤) ومسلم : صحيح مسلم، كتاب التفسير، رقم (٥٣٣٥).

بمعنى معرفة التاريخ اليومي لنزول الآية فقط، بل من اجل معرفة ما نزل في الموضوع الواحد وكيف نمى وتوسع في التشريع، فقد نزلت أحكام النساء في أول السورة ثم تعاقبت الأسئلة عليها فترلت الأجوبة في آيات متأخرة في تاريخ النزول عن الآيات السابقة، فيها أحكام جديدة قد تكون مبينة أو ناسخة أو مقيدة لما نزل قبلها.

وقوله تعالى في سورة النساء:{ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ** أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا(١٤٠) }

قال القرطبي:(الخطاب لجميع من أظهر الإيمان من محق ومنافق؛ لأنه إذا أظهر الإيمان فقد لزمه أن يمتثل أوامر كتاب الله. فالمترل قوله تعالى: {وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره} [الأنعام: ٦٨]. وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرون من القرآن..) [١].

قال ابن كثير:(وقوله {وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم} أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها وأقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه فلهذا قال تعالى{إنكم إذا مثلهم} في المأثم كما جاء في الحديث " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر " **والذي أحيل عليه في هذه الآية من النهي في ذلك هو قوله تعالى في سورة الأنعام وهي مكية** {وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم} الآية.

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن

قال مقاتل بن حيان: نسخت هذه الآية التي في سورة الأنعام يعني نسخ قوله:{ إنكم إذا مثلهم}، لقوله: {وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون}.) [(١)].

وجه الدلالة هنا أن ما أحال عليه القرآن كان قرآنا أيضاً نزل من قبل وقال: { وقد نزل عليكم } أي ما نزل عليكم في الآية (٦٨) من سورة الأنعام المكية، فهل كان يمكن أن يحيل القرآن على ما نزل من قبل دون علمه بضرورة المعرفة التاريخة لما نزل من قبل.

٦ ــ مفهوم الآية يوجب نزول آية سابقة في الموضوع :

في هذه الحالة لا يوجد نص على نزول سابق وإنما معنى الآية يتطلب أن تكون الآية مسبوقة بآية أخرى تحدثت عنها الآية اللاحقة، ومثاله قوله تعالى في سورة الأحزاب :{ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢)}، في هذه الآية ذكر لوعد من الله ورسوله، فأين الوعد ومتى كان ومتى نزل ؟

قال الدكتور محمد هلال إن الوعد هو ما نزل في سورة النور في قوله تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)}.

ولهذا السبب وأسباب أخرى قال هلال إن سورة النور نزلت قبل سورة الأحزاب [(٢)].

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم

(٢) الدكتور محمد هلال : محاولة في ترتيب السور المدنية.

هــذه ســت قواعــد يحكم بها على معنى تاريخ نزول الآيات والسور بدلالات مســتنبطه من القرآن نفسه، وفي الفصل التالي التحاكم إلى الجمع بين مناهج المحدثين والمؤرخين.

الفصل الثاني

الجمع بين منهج المحدثين والمؤرخين

مـــن المصادر الكثيرة السابقة نجد أن علم تاريخ نزول القرآن الكريم يعتمد كثيراً عـــلى الروايات الحديثية وروايات السير والمغازي والروايات التاريخية، أي أنه يقوم عـــلى عـــلم الرواية، والرواية تقوم على الإسناد، وعلم الرواية والإسناد ميزة خاصة لبعض علوم المسلمين لتأخر زمن التدوين فاحتاجه المسلمون لنقل بعض العلوم الدينية حـــتى روي في الأثر الإسناد من الدين، وبعد أن كثرت الرواية ووقع الكذب احتاج المســـلمون إلى علم الجرح والتعديل لفحص الرواة، فلا ينفع التفكير في معاني الرواية قـــبل الـــتأكد من صحة سندها أي صحة نسبتها إلى قائلها أو مصدرها، فلا يصح الاجتهاد في فهم متن رواية قبل الاجتهاد في سندها وإلا كان الاجتهاد فيما لا طائل منه ولا يحتج به ولا يقوم به علم.

وموضـــع البحث هو الرواية الحديثية والتاريخية لأن القرآن الكريم لم يؤرخ لحادثة معينة كما سبق بيانه، فحتى عندما استعمل الكلمات والظروف الزمانية والمكانية لم يحـــدد الـــتاريخ من القرآن نفسه وإنما من الرواية الحديثية أو التاريخية التي رويت في ســـبب نزول الآية وتفسيرها ومثاله قوله تعالى في سورة المائدة { اليوم أكملت لكم ديـــنكم }، فاليوم ظرف زمان ولم نعرف إلا من الرواية أن ذلك اليوم هو يوم عرفة في التاسع من ذي الحجة سنة عشر للهجرة وهكذا.

ولذا موضع التوثيق هو نفس الرواية الحديثية والرواية التاريخية ، وقد اهتم علماء الحديث المتقدمون بالرواية الحديثية وجعلوها علما هاما من علوم الإسلام وصنفوا لها عـــلوما منهجية مستقلة منها علم الجرح والتعديل ، وهو العلم الذي يعرف برجال الإســـناد توثيقا وتعديلا وجرحا وإنكارا ، واستقر هذا المنهج في علم الحديث وصار

منهجا يعرف بمنهج المحدثين في الحكم على الرواية من حيث سندها بالصحة أو الحسن أو الضعف وغيرها ، وكل ذلك لأن السنة حجة شرعية لا يصح فهم الإسلام دونها، وقد عدَّ منهج المحدثين متشددا وصارما في قبول الرواية وحق له أن يكون كذلك لأنه منهج إثبات دين يعبد الله تعالى به في العبادات والمعاملات والفقه عموما.

وأما الرواية التاريخية الخالصة فلم تجد من علماء التاريخ نفس العناية التي لقيتها الرواية الحديثية، لأنها تتعلق بذكر وقائع تاريخية وقعت قبل نزول القرآن وتزامنت معه من بدايته وحتى نهايته، وقد توفرت هذه الروايات كما ذكرنا في كتب التفسير والسيرة النبوية والكتب التاريخية وكتب الطبقات وغيرها.

وقد لا يكون من الإنصاف القول بأن علماء المغازي والتاريخ والسيرة والطبقات لم يهتموا بعلم الرواية وأصوله، لأن منهم محدثين مثل ابن إسحاق وخليفة بن خياط وابن جرير الطبري وغيرهم، ولعل موقف المحدثين من المؤرخين ورواتهم أي الرجال الذين رووا عنهم قد ركز فكرة أن منهج المؤرخين لا يعتد به في اثبات صحة حدث أو تصديق خبر حتى يكون للمحدثين فيه رأي.

وحيث إن علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره يعتمد على الرواية الحديثية والرواية التاريخية أي على كتب المحدثين وكتب السيرة والمؤرخين لأن الكتابة التاريخية تمتاز كما عند الواقدي والبلاذري بمراعاة ترتيب الأحداث ترتيباً زمنياً وموضوعياً في حين تظهر التجزئة للأحداث في كتابات المحدثين [١]، وأن علم تاريخ نزول آيات القرآن وسوره يقوم على ترتيب نزول القرآن تاريخياً أي مع ترتيب الأحداث والموضوعات تاريخياً، فإن هذا العلم لا بد أن يرتكز على منهج المحدثين في قبول الرواية ومنهج المؤرخين في ترتيب الرواية للأحداث، ولذا فانه

---

(١) العمري : أكرم ضياء : السيرة النبوية الصحيحة ١ / ١١.

يســـلك منهجا يجمع بين المنهجين وعلى أساس موضوعي وهو أن الرواية التي تثبت تاريخا ما يجب أن تكون مقبولة وفق منهج المؤرخين، ولكنها إذا تضمنت إثبات معنى مـــن معاني الإسلام أو حكما شرعيا ليس له شاهد إلا هذه الرواية فيجب أن تخضع لمـــنهج المحدثين في هذا الجزء من الرواية، فقبول الرواية تاريخياً يجب أن لا يلزم عنه قبولها دينيا.

وهـــذا منهج ثابت عند المحدثين أيضاً قال ابن حجر:(فقد ثبت عن الإمام أحمد وغـــيره مـــن الأئمة أنهم قالوا : إذا روينا في الحلال والحرام شددنا ، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا)[١].

هذا من جهة الحكم على سند الرواية وأما من جهة الحكم على متن الرواية فكلا المنهجين فيهما قواعد التعامل مع متن الرواية وفي هذا العلم الذي يجمع بين المنهجين قواعد جديدة أيضاً.

(١) ابن حجر العسقلاني: القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد ١٣ ، الطبعة الثانية ، مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن الهند، ١٣٨٦هـــ ١٩٦٧ م.

الفصل الثالث

استقراء الروايات وتصنيفها
والتثبت من صحتها

روايات علم تاريخ نزول آيات القرآن وسوره كثيرة جداً وذلك بخلاف الظن القائل إنها قليلة، ذلك أن روايات هذه العلم تستوعب روايات كل العلوم التي وردت في مصادره، أي روايات التفسير وعلم الحديث وروايات أسباب النزول وروايات علم الناسخ والمنسوخ وروايات علم المناسبة، إضافة إلى الروايات التاريخية الخالصة في كتب السيرة والمغازي وكتب الطبقات وروايات الكتب التاريخية.

هذه الروايات الكثيرة تحتاج إلى جمع وتصنيف وسبر وتقسيم لكل آية قرآنية إن أمكن، وإلا فلكل دراسة مختصة بسورة أو عدد من الآيات أو حدث تاريخي واحد تعلق به نزول آيات أو سورة قرآنية، فمثلا روايات قصة مسجد الضرار وتاريخ نزول هذه الآيات يحتاج إلى جمع كل روايات هذه القصة من كل مصادرها وتصنيفها ودراسة أسانيدها ومتنها حتى يكون للدارس حكم راجح فيها.

وقد يسر الله تبارك وتعالى في زماننا انتشار الكتب كثيراً ، فأصبحت كتب كل المصادر السابقة متوفرة للمحتهدين، ويسر الله تعالى أدوات تناول العلم بيسر وسهولة مثل كتب المعاجم والموسوعات الحديثية وكتب التراجم الخاصة والفهارس العلمية للموضوعات والرواة وفوق ذلك يسر الله تعالى أجهزة الحاسوب الآلية وأصبحت كل الكتب السابقة على أقراص ممغنطة كبيرة تحتوي على مئات الكتب في كل تخصص وفن.

وقد اهتم عدد من الجامعات الإسلامية والكليات الدينية بتناول مثل هذه الدراسات المختصة ودراسة روايات حادثة تاريخية معينة وهذا يتضمن دراسة ما نزل

فيها من آيات قرآنية، مثل : دراسة مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، جمع وتحقيق ودراسة إبراهيم بن إبراهيم قريبي وهذا الكتاب في الأصل رسالة أعدها المؤلف لنيل الماجستير في الحديث وعلومه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ونشرتها الجامعة.

و مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ،جمع وتحقيق ودراسة الدكتور إبراهيم بن إبراهيم بن قريبي، وهي رسالته لنيل درجة الدكتوراه، ونشرتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ومرويات غزوة الحديبية، جمع ودراسة وتحقيق، من إعداد الشيخ حافظ بن محمد عبد الله الحكمي، ونشرها المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وكتاب السيرة النبوية في فتح الباري لابن حجر، جمع وتوثيق الدكتور محمد الأمين الشنقيطي ، والكتاب رسالة دكتوراه من قسم السيرة والتاريخ في الجامعة الإسلامية في ثلاث مجلدات.

ويوجد مزيد من هذه الدراسات، وبالرغم من أهمية هذه الدراسات وقيمتها العلمية إلا أنها كانت تهدف إلى دراسة الروايات في الدرجة الأولى فهي معنية بالجانب الحديثي من الموضوع، وعلم تاريخ نزول القرآن يهدف إلى توظيف علم الرواية نفسها لمعرفة تاريخ نزول الآيات القرآنية كمنهج لفهم القرآن الكريم، ولذا حبذا لو اعتنت الجامعات الإسلامية والكليات والمعاهد الدينية بالدراسة التاريخية القرآنية وتوظيف كل العلوم في تحقيق هذه الغاية.

فجمع الروايات ليس غاية وإنما وسيلة منهجية، ولذا لا بد من التحقق من صحة هذه الروايات وفق منهج علم تاريخ نزول القرآن والذي ذكرناه في الفصل السابق من أنه يجمع بين منهج المحدثين ومنهج المؤرخين.

الفصل الرابع

التلازم بين نزول القرآن وتاريخ نزوله

النظرية التكاملية في التواريخ والموضوعات

قامت النظرية الفرقانية على أن نزول القرآن كان مفرقاً في آية أو مجموعة آيات أو سور كاملة، وهذا يعني أن كل آيات القرآن وسوره تتوزع على مدة تاريخ النزول وهو ثلاث وعشرين سنة، فالنظرة الأولى تقول إذا كان عدد آيات القرآن (٦٢٣٦) آية فهذه الآيات مقسمة على عدد الأيام والأشهر والسنين التي تزامنت مع نزول القرآن، مما يعني أنه ما من سنة نبوية إلا ونزل فيها شيء من القرآن، وإذا استثنينا ما قيل عن مدة فترة الوحي [1] فإن نزول القرآن كان متواصلاً على النبي صلى الله عليه وسلم طوال مدة حياته في نبوته ورسالته.

وهذا يتطلب أن تكون عند المجتهد نظرة تاريخية تتفق وتوزيع النزول على هذه المدة الزمانية بحيث لا تخلو سنة من نزول عدد معين من الآيات والسور وكذلك لا تخرج آية أو سورة من أن يكون لها تاريخ معين من الأيام أو الشهور أو السنين، فلا يجهل تاريخ نزول آية أو سورة حتى لو كان تقديره بالمكي أو المدني الزماني إن لم يكن تحديده بالسنة أو بالشهر أو باليوم ، وكما نعلم أن مصطلح المكي والمدني زماني ومكاني، فلكل آية أو آيات أو سورة تاريخ زماني ومكاني، وكذلك لكل

---

(١) اختلف في مدة فترة الوحي ومعناه، ولعل الراجح أن معناه قلة نزول آيات قرآنية في مدة زمنية قريبة من بدء تاريخ نزول القرآن في غار حراء وليس انقطاعاً للنزول، وأن هذه المدة الزمنية استمرت نحو ثلاث سنين قبل نزول سورة المدثر وفيها الأمر بالقيام بالإنذار، وهذه الفترة كانت نبوة خالصة لم تبدأ بها مهمة الرسول بإعلان ما أنزل عليه أو إبلاغه للناس وهي الفترة التي تولى فيها إسرافيل تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أحكام النبوة، وبعدها تولى جبريل أحكام الرسالة وحمي الوحي وتتابع والله أعلم، انظر فتح الباري ١٢/ ٣٥١.

تاريخ زماني أو مكاني بالمقابل آيات وسور نزلت فيه، فلا توجد حياة نبوية من غير تنـــزيل لكلام الله تعالى، حتى لما جاء اليوم الذي أكمل الله فيه الدين كان ذلك نعي النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه وللذين آمنوا.

إن هذه النظرية تعطي وضوحا إجماليا لنظرية النـــزول وتزامنها مع الأحداث في كل مراحلها حتى يصبح مجرد ذكر الآية أو السورة مرتبطاً بالمعاني العلمية والفكرية والاجـــتماعية والسياســـية والجهاديـــة التي نزلت الآيات لتعالجها وتقومها في ذلك الـــتاريخ، وهـــذا مدخل لفهم علل التشريع وغاياته على وجه تكاملي في المناسبات التاريخية والتنـــزيلية والموضوعية.

نظـــرية الـــتلازم تجمع بين النظرية التكاملية في المعاني وهي أن في القرآن وحدة موضوعية لكل آياته وسوره، والنظرية التكاملية في النـــزول التاريخي وهي أن لكل يوم وشهر وسنة في عهد النبوة آيات وسور نزلت في هذه التواريخ، ولذا ينبغي بقاء البحث عن تاريخ السورة أو الآية التي لم نعلم تاريخ نزولها، وكذلك إذا فرغت فترة زمـــنية من عهد النبوة من تعيين آيات نزلت فيها ينبغي استمرار البحث عن أسباب ذلك أو تعين الآيات أو السور التي نزلت فيها.

وإذا تيســـر تطبيق ذلك في العهد المدني لتلازم النظرة التكاملية لتواريخ النـــزول مع النظرة التكاملية لموضوعات الآيات وذلك بسبب قربها من أحداث تاريخية بارزة نزلت أسماؤها أو أحداثها في القرآن مثل غزوة بدر وأحد والأحزاب وفتح الحديبية و حـــنين وتبوك كما في سور الأنفال وآل عمران والأحزاب والتوبة، وكذلك ما نزل في المناســـبات الاجـــتماعية في القصـــص النبوي المحمدي مع زوجاته عليه الصلاة والســـلام كمـــا في ســـور التحريم والنور والأحزاب وغيرها من الأحداث مع أهل الكـــتاب والمـــنافقين، ففي العهد المدني نجد التلازم والترابط بين النظريتين التاريخية والموضـــوعية مـــتكاملاً فعـــلاً، بينما يصعب تحديد ذلك في السور والآيات المكية،

ومنهجنا في ذلك الاعتماد على نفس النظرية وهو تلازم التكامل بين التاريخ والمعاني، فإذا أفادتنا الروايات التاريخية الكثيرة أي النظرة التاريخية المتكاملة في العهد المدني تلازمها مع الوحدة الموضوعية بيسر، فإن الوحدة الموضوعية للآيات والسور في العهد المدني مدخلنا لإثبات التلازم مع النظرة التكاملية التاريخية في ذلك العهد.

أي أنه حتى نحدد تواريخ نزول الآيات في العهد المكي التي لم يرد فيها روايات تاريخية صحيحة — وهي نادرة — فلا بد من تحديد ذلك عن طريق دراسة الوحدة الموضوعية لمعاني السور المكية وترتيبها موضوعيا ثم تقدير التلازم التاريخي الذي يمكن أن تكون قد نزلت فيه تلك الآيات والسور بصورة متكاملة.

أي أنه لا بد أن يكون عند الباحث نظرية تلازم بين التواريخ والموضوعات بصورة تكاملية، وقياساً على ما وجدناه من تلازم بين النظريتين في العهد المدني نوجب وجود هذه التلازم في العهد المكي أيضاً، وهذه موضوعات الاجتهادات القادمة لفهم القرآن فهما تتحقق فيه العبادة العلمية والعبادة العملية.

الفصل الخامس

النظرة التكاملية بين علوم القرآن

لقــد وجدنا أن مصادر علم تاريخ نزول القرآن هي نفسها مصادر علوم القرآن مــثل عــلم أسباب النــزول وعلم الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني وغيرها، مزيدا عــليها روايات السيرة النبوية والمغازي والطبقات والتاريخ، وقد ذكرنا أن هذا العلم جديد في منهجه وليس جديدا في مضامينه وغاياته.

وقد كان لتناول العلوم السابقة منفصلة تأثير في استمرار وتوسع النظرة التجزيئية لفهــم القرآن والنظرة التجزيئية في التفاسير وعلوم العقائد والفقه أيضاً، فكان علم أسباب النــزول مفصولا عن علم الناسخ والمنسوخ عن علم المناسبة عن علم المكي والمــدني عن غيرها من علوم القرآن، وسبب ذلك أيضا التقليد في التأليف فقد كان لعصور التدوين السبق بتصنيف العلوم وبقيت على ما هي عليه إلا ما ندر كما قال ابــن الجوزي: (فإن نفع العلم بدرايته لا بوراثته، وبمعرفة أغواره لا بروايته، **وأصل الفساد الداخل على عموم العلماء تقليد سابقيهم**، وتسليم الأمر إلى معظميهم، من غــير بحث عما صنفوا ولا طلب للدليل عما ألفوه، وإني رأيت كثيرا من المتقدمين على كتاب الله عز وجل بآرائهم الفاسدة، وقد دسوا في تصانيفهم للتفسير أحاديث باطلة وتبعهم على ذلك مقلدوهم، فشاع ذلك وانتشر، فرأيت العناية بتهذيب علم التفسير عن الأغاليط من اللازم... ثم إني رأيت الذين وقع منهم التفسير صحيحا قد صدر عنهم ما هو أفظع فآلمني، وهو الكلام في الناسخ والمنسوخ، فإنهم أقدموا على هــذا العلم فتكلموا فيه، وصنفوه ؟، وقالوا بنسخ ما ليس بمنسوخ، ومعلوم أن نسخ

الشيء: رفع حكمه، وإطلاق القول برفع حكم آية لم يرفع جرأة عظيمة) [١] ، وحيث إن الدراسات المنهجية دراسات متجددة نظراً لما يتضح للقراء والمجتهدين من نظريات معرفية ووسائل علمية جديدة كان لا بد من تجديد مناهج علوم الإسلام وبخاصة علوم القرآن.

وعلم تاريخ نزول القرآن يجمع بين مصادر هذه العلوم من الروايات ويجمع بين مناهجها أيضا فإنه ينظر إلى هذه العلوم نظرة تكاملية بحيث يرى علم المناسبة مكملاً لعلم أسباب النزول فحيث لا يوجد سبب نزول لا بد أن يوجد مناسبة نزول لأن السبب علة نزول والمناسبة علة غاية، وكذلك الدراسة الموضوعية وعلم الناسخ والمنسوخ فحيث إن الحكم بوجود النسخ يعتمد على أن اللاحق ينسخ السابق إذا تعذر الجمع بين حكم الآيتين، لأن المعاني تتناسب مع الزمان، فلا يجب التسرع في الحكم على نسخ آية إذا لم نعرف تواريخ النزول للآيات المعنية، وطالما لم يتعذر الجمع بين حكم الآيتين مثل آيات الصبر مع القتال وغيرها.

وفي كتب هذه العلوم ضوابط وأصول منهجية في التثبت والبحث، ذكرها العلماء في كتب علوم القرآن مثل البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، وكتب علوم القرآن المختصة بجوانب منه مثل كتاب الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي، وكتاب العجاب في بيان الأسباب لابن حجر الذي قال وهو يبين منهجه في تصنيف الكتاب: (فأبدأ غالبا بكلام الواحدي، ثم بما استفدته من كلام الجعبري، ثم بما التقطته من كتب غيرهما من كتب التفاسير و كتب المغازي و كتب المسانيد و السنن و الآثار وغير ذلك من الأجزاء المتفرقة ، ناسبا كل رواية لراويها و كل مقالة لمخرجها، ثم لا أذكر من الزيادات إلا ما هو سبب نزول ببادئ

---

(١) ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ٥٩٧ هـ، نواسخ القرآن، تحقيق محمد الملباري، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ، ٧٤.

الـــرأي لا ما يكون من هذا القبيل بضرب من التأويل، وقد أورد الواحدي من ذلك أشياء ليست بكثيرة فلم أحذف منها شيئا) [1]، وفي غير هذه الكتب فوائد منهجية كثيرة تعين المجتهد على تبني منهج علمي تاريخي.

ونخص هنا بالذكر قلة الاهتمام بتفسير ما ورد في روايات ترتيب النـــزول والتي مـــر ذكـــرها عـــن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، ويجري اليوم محاولات قيمة لترتيب الـــنـــزول حـــبذا لو أخذت بعين الاعتبار تلك الترتيبات لأنها في تقديرنا تستند إلى اجـــتهادات عـــلمية، وأن الذيـــن رتبوها اعتمدا في علمهم على أسباب وعلل هذا الـــترتيب دون أن يذكـــروها، فكما أن اجتهادنا في الترتيب معلل بمعاني النظريات التكامـــلية في المعـــاني والتاريخ والروايات الواردة فكذلك من باب أولى أن تكون ترتيباتهم.

---

(١) ابـــن حجـــر: العجاب في بيان الأسباب ١/ ٢١٠ ، تحقيق عبدالحكيم محمد الأنيس، نشر دار ابن الجوزي ـــ الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨ ـــ ١٩٩٧ م.

الفصل السادس

الأمانة والشجاعة العلمية
وعدم التعصب لجهة خاصة

الأمانـــة العلمية مطلوبة في كل علم بل هي واجب على كل مجتهد وباحث عن الحقيقـــة، وقد كان لظهور الخلافات السياسية في بدء تاريخ المسلمين أثر على نشوء المـــدارس العقدية والمذاهب الفقهية والنحل الفلسفية والطرق الصوفية، وقد أقحمت كـــل هـــذه الفرق الآيات القرآنية في تزيين ما ذهبت إليه من آراء وأفكار وعقائد، وذلك إما عن طريق التأويل المصطنع أو وضع الروايات في أسباب نزول الآيات مثل فـــيمن نزلت الآيات وذلك من باب فضائل الأفراد والعائلات والأيام والشهور ، أو بجعـــل تاريخ نزول القرآن يبدو وكأنه تاريخ خاص بأفراد وعائلات وعشائر على الـــتعيين، وقـــد أســـهم في تركيز هذه النظرة الخاطئة الروايات المكذوبه وما سمي بالروايات الإسرائيلية نسبة لمن رواها من أحبار يهود الذين تظاهر بعضهم بالإسلام ، أو ممـــا رواه علماء المسلمين من مصادر كتب أهل الكتاب على ما فيها من تحريف وكذب.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن تدوين هذه الروايات وكتب الفرق العقدية والمذاهب كـــان بعد نشوء هذه الفرق والمدارس بعقود وقرون أدركنا أن اصطناع الرواية في عصر التدوين وبعده كان مبررا في نظرهم لما ترى كل فرقة أو فرد منهم أنه بذلك ينصـــر الحق وأهله ، وقد ذكرنا مقولة ابن حجر العسقلاني عن ابن حنبل وغيره من المحدثـــين أنهـــم كانوا يتشددون في روايات الحلال والحرام ويتساهلون في روايات الفضـــائل، فـــإذا كان المحدث يتساهل في رواية الفضائل، فمن باب أولى ان يكون صاحب النحلة والمذهب أشد تساهلا من المحدثين.

إن هــذه الصورة التاريخية التي سبقت علم الرواية كان لا بد أن تؤثر على الكتبة في عصــر التدوين وجعل كل حزب منهم بما لديهم فرحون إن كانوا مستقلين في كتابــتهم، وأمــا إن كــانوا مســتكتبين من قبل الخلفاء والأمراء فالناس على دين مــلوكهم، وهذا يعني أن الأمانة العلمية كانت أمرا نسبيا يصعب التحكم به، وقد وجــد أيضا من همه التحقق من صحة الرواية التي تفيد الخبر الصادق دون التحيز إلا لــلحق، ولذلــك ظهرت الروايات التي تؤيد المواقف العقدية والمذهبية المسبقة لهذا المؤلف أو ذاك.

ولــذا فــيجب على المجتهد في هذه الروايات أن لا يكون مقلدا في عقيدته ولا متعصبا لمذهبه وأن يدرس الروايات الحديثية والتاريخية دراسة علمية موضوعية تهدف إلى إظهــار الإســلام رسالة إلى الناس كافة وإلى إظهار القرآن كتاب هدى ورحمة للعالمين، وأن تاريخ نزول القرآن وإن تحدد في فترة زمنية معينة وتزامن مع أشخاص وقــبائل معينة، فلم ينــزل لهم على التعيين الدائم لا مدحا ولا ذما، وإنما هم حالة بشرية تصدق عليها معاني القرآن في الإيمان والكفر والنفاق والطاعة والمعصية، ولكن القرآن لا يقف عندها ولا تتوقف معانيه وأسبابه ومناسبته عليها.

إنــنا وبعــد أربعة عشر قرنا من تاريخ نزول القرآن بحاجة إلى الأمانة العلمية في قراءة وفهم كلام ربنا سبحانه وتعالى، وأن نفهمه على أنه رسالة لنا ونحن المخاطبين بــه بأســبابه ومناسباته وناسخه وكافة علومه وأحكامه، ولا شك أن ذلك يتطلب شجاعة علمية من حيث قبولنا أو رفضنا للوراثة الفقهية المذهبية التي نرثها من آباءنا، فالمدارس التاريخية السنية كثيرة وكذلك المدارس التاريخية الشيعية وغيرها وعدم تحلينا بالأمانــة الديــنية والشجاعة العلمية لن يغير من أحوالنا شيئاً، ولن تكون لنا عبادتنا العلمية الحقة وعبادتنا العملية الصالحة.

الفصل السابع

تذليل الصعاب ومعالجة المشكلات علمياً

١ ـــ صعوبات الدراية :

لقد بحثنا في الفصول السابقة عن منهج البحث في علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن، والعلم إما نقل مصدق عن معصوم وإما قول عليه دليل معلوم [1]، فالنقل لا بـــد من صدق نقله عمن يجب اتباعه، وأما العلم المنهجي فأصول وضوابط لا بد أن يتفق عليها حتى تكون مناهج مقبولة عند العلماء.

وما قلناه قبل كان إما حديثا عن مناهج في صحة النقل وهو ما تعلق بالجمع بين مـــنهج المحدثين ومنهج المؤرخين واستقراء الروايات وتصنيفها والتثبت من صحتها، وإمـــا مناهج أصولية في طرق استنباط المعاني التاريخية من القرآن، وفي الحديث عن الـــنظرية التكامـــلية في الدراســـة الموضوعية للقرآن كله والنظرية التكاملية لتاريخ الـــنــزول كلـــه أيضا، وما قلناه أيضا عن النظرية التكاملية بين علوم القرآن وهذه النظريات كلها من باب منهج تدبر بالقرآن الكريم كله.

وإذا خطط للعلم المنهجي أن لا يكون منهجا فرديا في الاجتهاد، فلا بد من النظر إلى جهـــود الآخرين من العلماء الذين لهم اهتمام به أو بأبحاثه وما قدموه من علوم مـــنهجية بعـــين الاعتبار والتقدير وأن يتم التشاور بين المجتهدين والمعنيين بهذا العلم حـــتى يتحقق الهدف المشترك من فهم القرآن فهما صحيحاً، وحتى لا تذهب جهود مـــثل هـــذه الأبحاث في الصد والرد لا بد من الإقرار بأن العلم الفردي ليس علماً معصـــوماً واجـــب الاتباع إلا إذا كان علماً نبوياً مصدره من الله تعالى، وكل علم مستنبط بعد النبوة مهما أوتي صاحبه من الدراية والفهم فلا يجوز أن يتعدى الحدود الشخصية إلا بمسوغ شرعي.

---

(١) ابن تيمية : مقدمة في التفسير ٦.

إن تحديد أصول استنباط المعنى التاريخي من الروايات أشبه بعلم أصول الفقه الذي يعـنى باسـتنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية المعلومة، فلا بد من تحديد الرواية ووجه الدلالة التاريخية فيها والقرائن المفيدة لهذا التاريخ أو غيره من التواريخ، وهذه الاجتهادات محل اختلاف بين العلماء بسبب الحاجة المسبقة لتحديد كثير من الـتواريخ في السـيرة نفسها والتي ترتكز عليها هذه الاجتهادات، ولكن مزيدا من العناية بهذا العلم من القراء المجتهدين والتعاون بينهم كفيل بالتغلب على هذه الصعوبة إن شاء الله تعالى.

ولا تتوقف معرفة المعنى التاريخي على الروايات فقط بل الأصل فيه المعنى المستنبط مـن الآية القرآنية نفسها موضع الدراسة والبحث ، وقد ذكرنا في فصل سابق طرق معـرفة المعـاني التاريخية من القرآن، ونؤكد أن هذه المعاني القرآنية أصل في المعرفة التاريخية وأنه يمكن استنباطها من القرآن نفسه على أسس :

١ ــ طرق استنباط المعنى التاريخي من القرآن.

٢ ــ نظرية التلازم بين النظرية التكاملية لمعاني القرآن.

٣ ــ النظرية التكاملية لتواريخ نزول القرآن.

وهـذا ما سبق بيانه ، وكذلك يمكن اثباتها من بعض كلمات القرآن وجمله والتي جـاءت بصيغة الحوار أو الاعتراض أو السؤال أو الجدل فكل هذه الكلمات وغيرها تثبت الحدث التاريخي وإن لم تعين زمنه بالضبط.

ولـذا فـإن الأصل في مصداقية قصة الحدث أن لا تتعارض مع صدق القرآن، فالـرواية شاهد على التاريخ ولا تصنع التاريخ، لأن التاريخ إعلام عن وقت الحدث والقصـه، والحـدث أو القصة إذا ثبتت من القرآن فهي قطعية الثبوت، والشهادة الـتاريخية مـن الـرواية ظنية الثبوت إذا سلمت من النقد، فالحدث القرآني صادق وتاريخه صادق حتى لو لم يتم تعينه.

فالتاريخ علم كثير الفوائد شريف الغايات ويضع المجتهد في الصورة الكاملة لمعاني القــرآن والصورة الكاملة للسيرة النبوية والصورة الكاملة لكيفية قيام دولة المؤمنين، لــذا فهو يحتاج إلى دراية متميزة وقراءة فاحصة، بعد الاطلاع على الروايات الكثيرة وتحصيل المعارف المتنوعة المصادر وعدم الاعتماد على الرواية وحدها.

٢ ـــ صعوبات الرواية:

الصــعوبة في علم الرواية لا تقتصر على هذا العلم وحده، فبعد قرن ونصف من الــرواية الشفوية الغالبة والمشفوعة بالرواية المدونة النادرة انفجر علم الرواية لإغلاق باب الكذب في الأقوال والأخبار والمتون، فإذا بالكذابين لا يتوانون عن صنع الرواية والإسناد المكذوب فضلاً عن متنه.

ولمــا جاء عصر التدوين في أواخر القرن الثاني والقرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع الهجري ورث الكتبة من المحدثين والمؤرخين وأصحاب السنن والمسانيد والأجــزاء الحديــثية والصــحف روايات كثيرة عدها البعض بمئات الألوف، منها الــروايات الصحيحة ومنها الروايات الضعيفة والموضوعة المكذوبة، فانبرى عدد من علماء الحديث الأجلاء لتصنيف هذه الروايات في كتب الصحاح والسنن والمسانيد وغيرهــا وانبرى عدد منهم لتصنيف كتب الرواة التي تجسدت في كتب علم الجرح والــتعديل، وبالــرغم من القيمة العالية لهذه العلوم في الرواية والرواة إلا أنها كانت جهــوداً فردية مترامية الأطراف في المكان والزمان، متفاوتة في الدقة والأمانة العلمية من عالم لآخر.

وحتى يومنا هذا لم تسلم هذه الكتب من النقد دراية ورواية، ونقترح المخرج من ذلك بأن يسعى علماء المسلمين لقيام مجامع علمية حديثية متخصصة وشرعية، دون أن تقــع تحت النــزعات الفردية والحزبية والمذهبية، بحيث تقوم هذه المجامع بأعمال عــلمية مؤسسية تعمل على فرز روايات هذه الكتب بين الصحيح والضعيف على

أسس علمية سليمة يتفق عليها قبل الشروع في الموضوع، فإذا حصل ذلك تحقق للمسلمين مرجعا علمياً من البيان النبوي الموثق بالشورى والاجتهاد الجماعي علمياً.

وروايات علم تاريخ نزول القرآن تجمع بين روايات التفسير وروايات المؤرخين، "وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغاليط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط" (١).

وبالرغم من أن تعدد الروايات في القصة الواحدة تعد صعوبة في تحديد تاريخ النزول، إلا أن علم تاريخ نزول آيات وسور القرآن يعين على تحديد الرواية الصحيحة أو التأويل الصحيح للآية ومثاله الآية (٣٣) من سورة فصلت وهي: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) }

قال القرطبي:(ومن أحسن قولا من الداعي إلى الله وطاعته وهو محمد صلى الله عليه وسلم. قال ابن سيرين والسدي وابن زيد والحسن: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله؛ أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه.

وقالت عائشة رضي الله عنها وعكرمة وقيس بن أبي حازم ومجاهد: نزلت في المؤذنين. قال فضيل بن رفيدة: كنت مؤذنا لأصحاب عبد الله بن مسعود، فقال لي عاصم بن هبيرة: إذا أذنت فقلت: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقل وأنا من

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ٢١، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

المسلمين؛ ثم قرأ هذه الآية؛ قال ابن العربي: الأول أصح؛ **لأن الآية مكية والأذان مدني**؛ وإنما يدخل فيها بالمعنى، لا أنه كان المقصود وقت القول) [١].

وهناك ضرب من الصعوبة في التعامل مع الروايات إذا تعددت القصص لآية واحدة [٢]، ومثاله الآية (١٢٨) من سورة آل عمران قال ابن إسحاق: (فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم)، فأنزل الله عز وجل في ذلك :{ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) } [سورة آل عمران][٣].

وقال ابن إسحاق : (ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون } (سورة آل عمران : ١٢٨) أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم أو أتوب عليهم برحمتي فإن شئت فعلت أو أعذبهم بذنوبهم فبحقي { فإنهم ظالمون } أي قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياي :{ والله غفور رحيم (١٢٩) } [سورة آل عمران] أي يغفر الذنب ويرحم العباد على ما فيهم) [٤].

---

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٦٠

(٢) انظر: نهاية السول فيما استدرك على الواحدي والسيوطي من أسباب النزول للأزهري، فصل تعدد الأسباب والنازل واحد وفصل تعدد النازل والسبب واحد، ص ٦٥ــ ٧٨. وأسباب نزول القرآن دراسة وتحليل، الدكتور: عبدالرحيم أبو علبة، فصل معالجة الاشكالات الواردة على أسباب التزيل ص ١٦١ــ ٢٠٣.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ٢ / ٨٠.

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ٣ / ١٠٨.

أخرج البخاري[١] ومسلم[٢] والنسائي[٣] والواحدي[٤] وابن حجر[٥] والسيوطي[٦] أن الآية نزلت بعد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على من كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد، وأنه دعا على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام.

وقال ابن حجر : (وفي رواية يونس بن يزيد عن الزهري عن سعد وأبي سلمة عن أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ في صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه ويقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد اللهم انج الوليد فذكره وزاد اللهم العن فلاناً وفلاناً لأحياء من العرب وفي لفظ اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا أنه ترك ذلك **لما نزل الله عليه** { ليس لك من الأمر شيء } الآية.

وفي ذلك نظر لأن ظاهر الآثار الماضية أن الآية **نزلت** أيام أحد **وقصة بئر معونة متراخية** عن ذلك بمدة لكن يمكن الجمع بأن نزولها تأخر حتى وقعت بئر معونة فكان يجمع في الدعاء بين من شج وجهه بأحد ومن قتل أصحاب بئر معونة فنزلت الآية في الفريقين جميعاً فترك الدعاء على الجميع وبقي بعد ذلك الدعاء للمستضعفين إلى أن خلصوا وهاجروا **وهذا أولى من دعوى النزول مرتين.**

وقد جزم مقاتل بن سليمان بأن قوله { ليس لك من الأمر شيء } إنما نزلت في القراء أصحاب بئر معونة ولفظه: **نزلت هذه الآية في أهل بئر معونة**

---

(١) البخاري : صحيح البخاري ، كتاب المغازي.

(٢) مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ــ غزوةأحد.

(٣) النسائي : سنن النسائي ، كتاب الصلاة.

(٤) الواحدي: أسباب نزول القرآن ١٢٤.

(٥) ابن حجر: العجاب ٢ / ٧٤٦.

(٦) السيوطي: أسباب النزول ٦٧.

وكــانت في صــفر سنة أربع بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلموا الناس فقتلوا وهذا سبب آخر.

وقال الزبير بن بكار في ترجمة بني نوفل بن عبد مناف من كتاب النسب ومطعم وأم طعـيمة بن عدي بن نوفل فاختة بنت عباس بن عامر من بني رعل بن عوف بن امـرىء القيس بن بهثة بن سليم وكان بنو رعل وأخوهم بنو ذكوان أنجدوا عامر بن الطفيل على أصحاب رسول الله الذين قتلوا ببئر معونة من أجل قتل طعيمة يوم بدر.

قـال الـزبير ولقـتل أصحاب بئر معونة دعا رسول الله أربعين ليلة على رعل وذكوان وعصية حتى نزلت عليه { ليس لك من الأمر شيء } فأمسك عنهم.

سـبب آخر : نقل الثعلبي عن عبد الله بن مسعود أراد رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد فنهاه الله عن ذلك وتاب عليهم وأنزل هذه الآية.

سبب آخر : ذكر ابن إسحاق وغير واحد أن المسلمين لما رأوا ما صنع المشركون بمن قتل من المسلمين من جدع أنوفهم وغير ذلك حزنوا وقالوا لئن أدالنا الله عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها واحد من العرب بأحد فأنزل الله هذه الآية، وحكاه الثعلبي أيضاً عن الشعبي وغيره.

سـبب آخر: ذكر الثعلبي عن عطاء قال أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحـد أربعـين يوماً يدعو على أربعة من ملوك كندة حمد ومشرح ونحى والمعمودة وهـي أختهم، وعلى بطن من هذيل يقال لها لحيان، وعلى بطون من سليم هم رعل وذكـوان وعصية والقارة فأجاب الله دعاءه وقحطوا فلما انقضت الأربعون نزلت هذه الآية) [١].

(١) ابن حجر: العجاب ٢ / ٧٥٠.

نلاحظ في كل هذه الأسباب أن تاريخ نزول الآية متقارب بين شهر شوال من السنة الثالثة تاريخ غزوة أحد وشهر صفر من السنة الرابعة، تاريخ سرية بئر معونة وليس ما يمنع من اجتماع الأسباب، وإن كان سبب غزوة أحد أرجح عند ابن إسحاق بحكم المناسبة الموضوعية كما ذكره في المناسبة السابقة وكذلك بحكم المناسبة التنزيلية والتاريخية.

وقد علل ملا حويش ظاهرة التكرار باتباع المفسرين ترتيب المصحف وليس ترتيب النزول فقال: "ولأن العلماء رحمهم الله لما فسروه على نمط المصاحف اضطروا لأن يشيروا لتلك الأسباب بعبارات مكررة ، إذ بين ترتيبه في المصاحف وترتيبه بحسب النزول بعدٌ يرمي للزوم التكرار بما أدى لضخامة تفاسيرهم، ومن هنا نشأ الاختلاف بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والأخذ والرد فيما يتعلق فيهما" [1].

(١) ملا حويش: بيان المعاني ١ ـــ ٤.

الخاتمة

إن حاجة الأمة اليوم ماسة إلى فهم القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا يخلق عن كثرة الترديد ولا تنقضي عجائبه وعلومه ولا يشبع منه العلماء ولا يمله المجتهدون.

قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ــ كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما ــ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى ينعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا العلم والعمل جميعا [(١)].

فإذا كانت هذه الطريقة النبوية في التعليم فواضح أن ذلك كان للأول فالأول مما نزل من القرآن وليس كما هي الآيات والسور في المصحف الإمام، ولذا فإن الدراسة التاريخية دراسة فهم وتدبر للقرآن الكريم تعيد منهج تعلم القرآن كما بدأ في العهد النبوي والذين آمنوا من الصحابة رضي الله عنهم.

وما قدمناه في هذه الدراسة المنهجية متعلق بتاريخ القرآن من أجل فهم القرآن وليس بهدف الدراسة التاريخية فقط، وهناك غير هذه الدراسة اهتمت بتاريخ القرآن لأغراض مشبوهة لا يجوز أن تتخذ ذريعة في رفض كل دراسة تاريخية للقرآن ونزوله، وإذا كانت تلك الدراسات مشبوهة فعلا بل وثبت أنها من أعداء الإسلام، فكم هو حري أن يتقدم علماء المسلمين بدراساتهم العلمية لسد هذا الباب على المغرضين وإزالة الالتباس عن طلبة العلم، فهذا العلم منهج أصيل بين علوم القرآن كما بينا، ولكنه لم يصنف فيه كتاب مستقل من قبل.

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوي مقدمة التفسير ١٣ / ٣٣١.

وحيث إن الدراسات النقدية العلمية قديمة وأصيلة في علوم المسلمين فهذه الدراسة وهذا العلم ليس بدعا فيما أتى به وذهب إليه من ضرورة الدراسة النقدية العلمية لمجموعة من أهم علوم المسلمين وهي علوم القرآن، فلا بد من الثقة التامة بعلوم القرآن التاريخية والحديثة لأنها علوم منهجية تعين على فهم القرآن كما أثبتنا، وقد أحببنا ذكر النقول من مصادرها الأصلية لتأكيد هذه المعاني، وتأكيد أن علماء أمتنا المتقدمين كان لهم قدم السبق والاهتمام بكثير من مسائل تاريخ القرآن، وكذلك لنرى أنهم عللوا هذا الاهتمام وأظهروا فوائده وخيره.

وكذلك ليعلم أن العلوم المنهجية ظنية وليست قطعية، لأنها علوم لم ينزل بها الوحي نصا وإنما تستنبط من القرآن والسنة كأدوات معرفية توصل المجتهد إلى الراجح من المعاني والتواريخ، وما كان مصدره الاجتهاد فهو علم ظني يقوم على غلبة الظن، وقابل للنقد والنقض دون حرج أو انتقاص منه أو من مصنفه، بل لا بد أن تتواصل الاجتهادات في تجلية هذا العلم، فهو كما قال ابن الأثير في نهايته : كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه ومبتدع أمراً لم يتقدم عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر، وصغيراً ثم يكبر.

نرجو أن نكون قد وفقنا في تقديم هذا العلم محررا عن غيره من العلوم وفيه الدعائم الأساسية التي يبنى عليها، وأملنا أن يتواصل البحث في تأصل هذا العلم وجعله يأخذه المكانة التي يستحقها، وإذ لا يمثل هذا العمل ـ بالقدر الذي هو عليه ـ كل طموحنا، فالله نسأل الزيادة في العلم والمضاعفة في الأجر، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين.

اجتهادات ترتيب نزول القرآن

ترتيب بلاشير	ترتيب نولدكه	ترتيب حبنكة	ترتيب دروزه	ترتيب لجنة الأزهر[1]	ترتيب البيهقي	ترتيب الزركشي	ترتيب الماوردي	ترتيب ابن النديم	ترتيب ابن الضريس	ترتيب الزهري	تسلسل المكي
العلق	العلق	العلق	الفاتحة	العلق	العلق	العلق	العلق	العلق	العلق	العلق	١
المدثر	المدثر	المدثر	العلق	القلم	القلم	القلم	القلم	القلم	القلم	القلم	٢
قريش	المسد	المزمل	القلم	المزمل	المزمل	المزمل	المزمل	المزمل	المزمل	المزمل	٣
الضحى	الماعون	القلم	المزمل	المدثر	المدثر	المدثر	المدثر	المدثر	المدثر	المدثر	٤
الشرح	قريش	الفاتحة	المدثر	الفاتحة	المسد	المسد	المسد	المسد	المسد	المسد	٥
العصر	الكوثر	المسد	المسد	المسد	التكوير	التكوير	التكوير	التكوير	التكوير	التكوير	٦
الشمس	الهمزة	التكوير	التكوير	التكوير	الأعلى	الأعلى	الأعلى	الأعلى	الأعلى	الأعلى	٧
الماعون	التكاثر	الأعلى	الأعلى	الأعلى	الليل	الليل	الليل	الشرح	الليل	الليل	٨
الطارق	الفيل	الليل	الليل	الليل	الفجر	الفجر	الفجر	العصر	الفجر	الفجر	٩
التين	الليل	الفجر	الفجر	الفجر	الضحى	الضحى	الضحى	الفجر	الضحى	الضحى	١٠
الزلزلة	البلد	الضحى	الضحى	الضحى	الشرح	الشرح	الشرح	الضحى	الشرح	الشرح	١١
القارعة	الشرح	الشرح	الشرح	الشرح	العصر	العصر	العصر	الليل	العصر	العاديات	١٢
العاديات	الضحى	العصر	العصر	العصر	العاديات	العاديات	العاديات	العاديات	العاديات	العصر	١٣
الليل	القدر	العاديات	العاديات	العاديات	الكوثر	الكوثر	الكوثر	الكوثر	الكوثر	الكوثر	١٤
الانفطار	القارعة	الكوثر	الكوثر	الكوثر	التكاثر	التكاثر	التكاثر	التكاثر	التكاثر	التكاثر	١٥
الأعلى	الشمس	التكاثر	التكاثر	التكاثر	الماعون	الماعون	الماعون	الماعون	الماعون	الماعون	١٦
عبس	عبس	الماعون	الماعون	الماعون	الكافرون	الكافرون	الكافرون	الكافرون	الكافرون	الكافرون	١٧
التكوير	القلم	الكافرون	الكافرون	الكافرون	الفيل	الفيل	الفيل	الفيل	الفيل	الفيل	١٨
الانشقاق	الأعلى	الفيل	الفيل	الفيل	الفلق	الفلق	الفلق	الإخلاص	الفلق	الفلق	١٩
النازعات	التين	الفلق	الفلق	الفلق	الناس	الناس	الناس	الفلق	الناس	الناس	٢٠
الغاشية	العصر	الناس	الناس	الناس	الإخلاص	الإخلاص	الإخلاص	الناس	الإخلاص	الإخلاص	٢١
الطور	البروج	الإخلاص	الإخلاص	الإخلاص	النجم	النجم	النجم	النجم	النجم	النجم	٢٢
الواقعة	المزمل	النجم	النجم	النجم	عبس	عبس	عبس	عبس	عبس	عبس	٢٣
المرسلات	القارعة	عبس	عبس	عبس	القدر	القدر	القدر	القدر	القدر	القدر	٢٤
النبأ	الحاقة	القدر	القدر	القدر	الشمس	الشمس	الشمس	الشمس	الشمس	الشمس	٢٥
القيامة	الزلزلة	الشمس	الشمس	الشمس	البروج	البروج	البروج	البروج	البروج	البروج	٢٦
الرحمن	الانفطار	البروج	البروج	البروج	التين	التين	التين	التين	التين	التين	٢٧
القدر	التكوير	التين	التين	التين	قريش	قريش	قريش	قريش	قريش	قريش	٢٨
النجم	النجم	قريش	قريش	قريش	القارعة	القارعة	القارعة	القارعة	القارعة	القارعة	٢٩

(١) ترتيب لجنة الأزهر المصرية سبق الحديث عنها عند ذكرنا لترتيب حويش ودروزه وهو ما ذكر أنه ترتيب مصحف فؤاد وهو الترتيب المشهور.

ترتيب بلاشير	ترتيب نولدكه	ترتيب حبنكة	ترتيب دروزة	ترتيب لجنة الأزهر	ترتيب البيهقي	ترتيب الزركشي	ترتيب الماوردي	ترتيب ابن النديم	ترتيب ابن الضريس	ترتيب الزهري	تسلسل المكي
التكاثر	الانشقاق	القارعة	القارعة	القارعة	القيامة	القيامة	القيامة	القيامة	القيامة	القيامة	٣٠
المعارج	العاديات	القيامة	القيامة	القيامة	الهمزة	الهمزة	الهمزة	الهمزة	الهمزة	المرسلات	٣١
المزمل	النازعات	الهمزة	الهمزة	الهمزة	المرسلات	المرسلات	المرسلات	المرسلات	المرسلات	ق	٣٢
الإنسان	المرسلات	المرسلات	المرسلات	المرسلات	ق	ق	ق	ق	ق	الهمزة	٣٣
المطففون	النبأ	ق	ق	ق	البلد	البلد	البلد	البلد	البلد	القمر	٣٤
المسد	الغاشية	البلد	البلد	البلد	الطارق	الطارق	الطارق	الرحمن(١)	الطارق	البلد	٣٥
الكوثر	الفجر	الطارق	الطارق	الطارق	القمر	القمر	القمر	الجن	القمر	الطارق	٣٦
الهمزة	القيامة	القمر	القمر	القمر	ص	ص	ص	يس	ص	ص	٣٧
البلد	المطففون	ص	ص	ص	الأعراف	الأعراف	الأعراف	الأعراف	الأعراف	الأعراف	٣٨
الفيل	الذاريات	الأعراف	الأعراف	الأعراف	الجن	الجن	الجن	الفرقان	الجن	الجن	٣٩
الفجر	الطور	الجن	الجن	الجن	يس	يس	يس	فاطر(٢)	يس	يس	٤٠
البروج	الواقعة	يس	يس	يس	الفرقان	الفرقان	الفرقان	مريم	الفرقان	الفرقان	٤١
الإخلاص	المعارج	الفرقان	الفرقان	الفرقان	فاطر	فاطر	فاطر		فاطر	فاطر	٤٢
الكافرون	الرحمن		فاطر	فاطر	مريم	مريم	مريم	الواقعة	مريم	مريم	٤٣
الفاتحة	الإخلاص		مريم	مريم	طه	طه	طه	الشعراء	طه	طه	٤٤
الفلق	الكافرون		طه	طه	الواقعة	الواقعة	الواقعة	النمل	الواقعة	الواقعة	٤٥
الناس	الفلق		الواقعة	الواقعة	الشعراء	الشعراء	الشعراء	القصص	الشعراء	الشعراء	٤٦
الذاريات	الناس		الشعراء	الشعراء	النمل	النمل	النمل	الإسراء	النمل	النمل	٤٧
القمر	الفاتحة		النمل	النمل	القصص	القصص	القصص	هود	القصص	القصص	٤٨
القلم	القمر		القصص	القصص	الإسراء	الإسراء	الإسراء	يوسف	الإسراء	الإسراء	٤٩
الصافات	الصافات		الإسراء	الإسراء	يونس	يونس	يونس	يونس	يونس	يونس	٥٠
الدخان	نوح		يونس	يونس	هود	هود	هود	الحجر	هود	هود	٥١
ق	الإنسان		هود	هود	يوسف	يوسف	يوسف	الصافات	يوسف	يوسف	٥٢
طه	الدخان		يوسف	يوسف	الحجر	الحجر	الحجر	لقمان	الحجر	الحجر	٥٣
الشعراء	ق		الحجر	الحجر	الأنعام	الأنعام	الأنعام	المؤمنون	الأنعام	الأنعام	٥٤
النمل	طه		الأنعام	الأنعام	الصافات	الصافات	الصافات	سبأ	الصافات	الصافات	٥٥
الحجر	الشعراء		الصافات	الصافات	لقمان	لقمان	لقمان	الأنبياء	لقمان	لقمان	٥٦
مريم	الحجر		لقمان	لقمان	سبأ	سبأ	سبأ	الزمر	سبأ	سبأ	٥٧
ص	مريم		سبأ	سبأ	الزمر	الزمر	الزمر	غافر	الزمر	الزمر	٥٨

(١) سورة الرحمن في ترتيب ابن النديم مكية.

(٢) ذكر ابن النديم اسم سورة الملائكة ثم قال سورة فاطر وهما اسمان لسورة واحدة.

ترتيب بلاشير	ترتيب نولدكه	ترتيب جنكة	ترتيب دروزة	ترتيب لجنة الأزهر	ترتيب البيهقي	ترتيب الزركشي	ترتيب الماوردي	ترتيب ابن النديم	ترتيب ابن الضريس	ترتيب الزهري	تسلسل المكي
يس	ص		الزمر	الزمر	غافر	غافر	غافر	فصلت	غافر	غافر	٥٩
الزخرف	يس		غافر	غافر	الدخان	فصلت	فصلت	الشورى	فصلت	فصلت	٦٠
الحاقة	الزخرف		فصلت	فصلت	فصلت	الشورى	الشورى	الزخرف	الشورى	الشورى	٦١
الملك	الجن		الشورى	الشورى	الشورى	الزخرف	الزخرف	الدخان	الزخرف	الزخرف	٦٢
المؤمنون	الملك		الزخرف	الزخرف	الزخرف	الدخان	الدخان	الجاثية	الدخان	الدخان	٦٣
الأنبياء	المؤمنون		الدخان	الدخان	الجاثية	الجاثية	الجاثية	الأحقاف	الجاثية	الجاثية	٦٤
الفرقان	الأنبياء		الجاثية	الجاثية	الأحقاف	الأحقاف	الأحقاف	الذاريات	الأحقاف	الأحقاف	٦٥
فاطر	الفرقان		الأحقاف	الأحقاف	الذاريات	الذاريات	الذاريات	الغاشية	الذاريات	الذاريات	٦٦
الكهف	الإسراء		الذاريات	الذاريات	الغاشية	الغاشية	الغاشية	الكهف	الغاشية	الغاشية	٦٧
النحل	النحل		الغاشية	الغاشية	الكهف	الكهف	الكهف	الأنعام	الكهف	الكهف	٦٨
السجدة	الكهف		الكهف	الكهف	النحل	النحل	النحل	النحل	النحل	النحل	٦٩
نوح	السجدة		النحل	النحل	نوح	نوح	نوح	نوح	نوح	نوح	٧٠
الجن	فصلت		نوح	نوح	إبراهيم	إبراهيم	إبراهيم	إبراهيم	إبراهيم	إبراهيم	٧١
فصلت	الجاثية		إبراهيم	إبراهيم	الأنبياء	الأنبياء	الأنبياء	السجدة	الأنبياء	الأنبياء	٧٢
الجاثية	الروم		الأنبياء	الأنبياء	المؤمنون	المؤمنون	المؤمنون	الطور	المؤمنون	المؤمنون	٧٣
الإسراء	خود		المؤمنون	المؤمنون	السجدة	السجدة	السجدة	الملك	السجدة	السجدة	٧٤
الروم	إبراهيم		السجدة	السجدة	الطور	الطور	الطور	الحاقة	الطور	الطور	٧٥
هود	يوسف		الطور	الطور	الملك	الملك	الملك	المعارج	الملك	الملك	٧٦
إبراهيم	غافر		الملك	الملك	الحاقة	الحاقة	الحاقة	النبأ	الحاقة	الحاقة	٧٧
يوسف	القصص		الحاقة	الحاقة	المعارج	المعارج	المعارج	النازعات	المعارج	المعارج	٧٨
غافر	الزمر		المعارج	المعارج	النبأ	النبأ	النبأ	الانفطار	النبأ	النبأ	٧٩
القصص	العنكبوت		النبأ	النبأ	النازعات	النازعات	النازعات	الانشقاق	النازعات	النازعات	٨٠
الزمر	لقمان		النازعات	النازعات	الانشقاق	الانفطار	الانفطار	الروم	الانفطار	الانفطار	٨١
العنكبوت	الشورى		الانفطار	الانفطار	الانفطار	الانشقاق	الانشقاق	العنكبوت	الانشقاق	الانشقاق	٨٢
لقمان	يونس		الانشقاق	الانشقاق	الروم	الروم	الروم	المطففين	الروم	الروم	٨٣
الشورى	سبأ		الروم	الروم	العنكبوت	العنكبوت	العنكبوت	القمر	العنكبوت	العنكبوت	٨٤
يونس	فاطر		العنكبوت	العنكبوت		المطففين	المطففين	الطارق	المطففين	المطففين	٨٥
سبأ	الأعراف		المطففين (٢)	المطففين						(١)	٨٦

(١) لم تذكر الترتيبات السابقة ترتيب سورة الفاتحة في الترتيب الخامس وهو ما اعتمدته لجنة الأزهر المصرية.

(٢) ذكر العلامة دروزه بعد سورة المطففين السور التالية على أنها مكية إلحاقاً وهي الرعد ثم الحج ثم الرحمن ثم الإنسان ثم الزلزلة.

ترتيب بلاشير	ترتيب نولدكه	ترتيب هلال	ترتيب دروزه	ترتيب لجنة الأزهر	ترتيب البيهقي	ترتيب الزركشي	ترتيب الماوردي	ترتيب ابن النديم	ترتيب ابن الضريس	ترتيب الزهري	تسلسل المدني
الأعراف	الأحقاف (١)	الحج	البقرة	البقرة	المطففين	البقرة	البقرة	البقرة	البقرة	الفاتحة	١
الأحقاف	الأنعام	التغابن	الأنفال	الأنفال	البقرة	الأنفال	الأنفال	الأنفال	الأنفال	البقرة	٢
الأنعام	الرعد	الجمعة	آل عمران	آل عمران	آل عمران	آل عمران	آل عمران	الأحزاب	آل عمران	الأنفال	٣
الرعد	البقرة	محمد	الحشر	الأحزاب	الأنفال	الأحزاب	الأحزاب	آل عمران	الأحزاب	آل عمران	٤
البقرة	البينة	البقرة	الجمعة	الممتحنة	الأحزاب	الممتحنة	الممتحنة	الممتحنة	الممتحنة	الأحزاب	٥
البينة	التغابن	الطلاق	الأحزاب	النساء	المائدة	النساء	النساء	النساء	النساء	الممتحنة	٦
التغابن	الجمعة	الأنفال	النساء	الزلزلة	الممتحنة	الزلزلة	الزلزلة	الزلزلة	الزلزلة	النساء	٧
الجمعة	الأنفال	آل عمران	محمد	الحديد	النساء	الحديد	الحديد	الحديد	الحديد	الزلزلة	٨
الأنفال	محمد	الحشر	الطلاق	محمد	الزلزلة	محمد	محمد	محمد	محمد	الحديد	٩
محمد	آل عمران	المنافقون	البينة	الرعد	الحديد	الرعد	الرعد	الرعد	الرعد	محمد	١٠
آل عمران	الصف	النور	النور	الرحمن	محمد	الرحمن	الرحمن	الإنسان	الرحمن	الرعد	١١
الصف	الحديد	النساء	المنافقون	الإنسان	الرعد	الإنسان	الإنسان	الطلاق	الإنسان	الرحمن	١٢
الحديد	النساء	المجادلة	المجادلة	الطلاق	الرحمن	الطلاق	الطلاق	البينة	الطلاق	الإنسان	١٣
النساء	الطلاق	الأحزاب	الحجرات	البينة	الإنسان	البينة	البينة	الحشر	البينة	الطلاق	١٤
الطلاق	الحشر	الممتحنة	التحريم	الحشر	الطلاق	الحشر	الحشر	النصر	الحشر	البينة	١٥
الحشر	الأحزاب	الفتح	التغابن	النور	البينة	النصر	النصر	النور	النصر	الحشر	١٦
الأحزاب	المنافقون	الحجرات	الصف	الحج	الحشر	النور	النور	الحج	النور	النصر	١٧
المنافقون	النور	المائدة	الفتح	المنافقون	النصر	الحج	الحج	المنافقون	الحج	النور	١٨
النور	المجادلة	الصف	المائدة	المجادلة	النور	المنافقون	المنافقون	المجادلة	المنافقون	الحج	١٩
المجادلة	الحج	النصر	الممتحنة	الحجرات	الحج	المجادلة	المجادلة	الحجرات	المجادلة	المنافقون	٢٠
الحج	الفتح	الحديد	الحديد	التحريم	المنافقون	الحجرات	الحجرات	التحريم	الحجرات	المجادلة	٢١
الفتح	التحريم	التحريم	التوبة	التغابن	المجادلة	التحريم	التحريم	الجمعة	التحريم	الحجرات	٢١
التحريم	الممتحنة	التوبة	النصر	الصف	الحجرات	الصف	الجمعة	التغابن	الجمعة	التحريم	٢٢
الممتحنة	النصر			الجمعة	التحريم	الجمعة	التغابن	الصف	التغابن	الجمعة	٢٣
النصر	الحجرات			الفتح	الصف	التغابن	الصف	الفتح	الصف	التغابن	٢٤
الحجرات	التوبة			المائدة	الجمعة	الفتح	الفتح	المائدة	الفتح	الصف	٢٥
التوبة	المائدة			التوبة	التغابن	التوبة	المائدة	التوبة	المائدة	الفتح	٢٦
				النصر	الفتح	المائدة	التوبة		التوبة	المائدة	٢٧
					التوبة					التوبة	٢٨

(١) المتابعة هنا لترتيب نولدكه وبلاشير ليس على أساس المكي والمدني وإنما تسلسل ترتيبهما.

المراجع

ـــ الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، تحقيق: عصام الحرستاني ومحمد أبو صعيليك، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـــ ١٩٩٨م، وطبعة المكتبة الثقافية، بيروت.

ـــ أحكام القرآن : أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧.

ـــ أسباب نزول القرآن : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ، عالم الكتب، بيروت.

ـــ أسباب نزول القرآن دراسة وتحليل: تأليف الدكتور عبدالرحيم أبو علبة.

ـــ أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس، د. محمد رأفت علي، كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر رقم (٣٧)، الطبعة الأولى بتاريخ جمادى الأولى ١٤١٤هـ.

ـــ الاستشراق : ادوارد سعيد ، ترجمة كمال أبو ديب، طبعة ثانية ١٩٨٤م، مؤسسة الأبحاث العربية.

ـــ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : السخاوي، دار الكتاب العربي.

ـــ الانتصار للقرآن: لأبي بكر الباقلاني ، تحقيق د. محمد عصام القضاة ، دار الفتح ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

ـــ أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها، الدكتور أحمد عباس البدوي، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

ـــ البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت، لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٢ م.

ـــ بيان المعاني : السيد عبدالقادر ملا حويش ، مطبعة الترقي، ١٣٨٢هـ ـــ ١٩٦٣م.

ـ البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث، لابن حمزة: الشريف إبراهيم بن حمد بن كمال الدين ، نشر المكتبة العلمية ، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠٢م ـ ١٩٨٢م.

ـ تاريخ الصحابة ، لأبي حاتم محمد البستي، نشر عباس أحمد الباز ـ مكة المكرمة، بتحقيق بوران الضناوي.

ـ تاريخ القرآن : تأليف الدكتور عبد الصبور شاهين، دار القلم، الكويت ١٩٦٦م.

ـ ترتيب نزول القرآن ، الدكتور محمد علي الحسن، بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ، العدد (١٦) ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

ـ التفسير الحديث ، محمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨١هـ ١٩٦٢.

ـ تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لابن جرير الطبري، تحقيق صدقي جميل العطار، نشر دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

ـ الجامع الصحيح : محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ،

ـ الجامع الصحيح : مسلم بشرح النووي، الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

ـ الجامع لأحكام القرآن: لابي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار الفكر ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

ـ جمال القراء وكمال الإقراء ، ـ أبو الحسن علي السخاوي، تحقيق: عبد الحق عبد الدايم، نشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

ـ دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوي المستشرقين، الدكتور جميل عبدالله المصري، دار القلم الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـ الرأي الصواب في منسوخ الكتاب، جواد عفانة ، دار البشير، الأردن.

ــ الرسالة : محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر.

ــ سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

ــ سنن النسائي بشرح السيوطي: دار الفكر الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ ١٩٣٠.

ــ سيرة الرسول في تصورات الغربين للمستشرق الألماني جوستاف بفانمولر ترجمة الدكتور محمود حمدي زقزوق، نشر مكتبة ابن تيمية ــ البحرين، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

ــ السيرة النبوية، لابن هشام ، حققها مصطفى السقا وزملاؤه.

ــ السيرة النبوية صورة مقتبسة من القرآن: محمد عزة دروزة، عني بهذه الطبعة عبدالله بن ابراهيم الأنصاري، منشورات المكتبة العصرية صيدا.

ــ الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية (١ــ٢)، الدكتور ساسي سالم الحاج، نشر مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا الطبعة الأولى ١٩٩١م.

ــ عالم المعجزات (بحث في تاريخ القرآن)، الحريري، الطبعة الثالثة، دار لأجل المعرفة، ديار عقل ــ لبنان ١٩٨٦ م.

ــ العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ١ ــ٢، تحقيق عبدالحكيم محمد الأنيس نشر دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م.

ــ فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، نشر مؤسسة الرسالة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس.

ــ فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة: ابن الضريس ، تحقيق غزوة بدير، نشر دار الفكر دمشق سورية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

ــ فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دكتور أحمد سمايلوفيتش، من سراييفو يوغسلافيا، رسالة دكتوراه ١٩٧٤.

ــ الفهرست للنديم ، تحقيق رضا ــ تجدد طهران، ١٣٩١ هـ ،١٩٧١م.

ـــ في ظلال القرآن ، سيد قطب، دار الشروق ـــ جدة ، الطبعة الرابعة.

ـــ قراءة في (المستشرقون والقرآن) لعمر لطفي العالم، محمد غشام، مركز دراسات العالم الإسلامي مالطا ١٩٩١م، مجلة الاجتهاد، العددان (٥٠ و ٥١).

ـــ كـــتاب (القرآن : نزوله تدوينه..)، بلاشير، نقله إلى العربية: رضا سعادة، نشر دار الكتاب اللبناني بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

ـــ القرآن والكتاب، درة يوسف الحداد ، القسم الثاني أطوار الدعوة القرآنية.

ـــ القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته: د. فضل حسن عباس، دار الفرقان ـــ عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٧ م.

ـــ قضـــايا قرآنية في الموسوعة البريطانية د. فضل حسن عباس ، الطبعة الأولى لدار الفتح عمان الأردن ١٤٢١هـ ـــ ٢٠٠٠م.

ـــ قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

ـــ قواعـــد يستضـــاء بها في محاولة ترتيب السور والآيات القرآنية وفق تاريخ النـــزول، حسين محمد أمين، مجلة الهلال ـــ عدد شعبان، ١٤١٩هـ.

ـــ لـــباب النقول في أسباب النـــزول، جلال الدين السيوطي، اعتنى به: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـــ ١٩٩٧م.

ـــ لســـان العرب: جمال الدين محمد بن منظور، دار الفكر ، ودار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

ـــ كـــتاب المصـــاحف ، لأبي بكر عبدالله السجستاني، تحقيق الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ، اصدار وزارة الأوقاف بدولة قطر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٥.

ـــ مـــباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٨١م.

ـــ مجمـــوع الفـــتاوي لابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف الرباط ، المغرب.

ـــ محاولة في ترتيب نزول السور المدنية، الدكتور محمد هلال ، أعداد أسبوعية متوالية في جريدة اللواء بتاريخ ٢٦/٧/٢٠٠٠م.

ـــ محمـــد عـــزة دروزة وتفسير القرآن الكريم ، د٠فريد مصطفى السلمان، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

ـــ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: لابن خالويه، عني بنشره : ج. برجشتراسر ، وقدم له : آرثر جفري ، طباعة دار الهجرة.

ـــ مختصـــر الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام، اختصار وعناية هالة محمد علي العبد الله ، دار الفتح ، عمان الأردن ١٤٢٢هـ ـــ ٢٠٠١م.

ـ المدخـــل لدراســـة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، دار اللواء، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

ـــ المســـند: أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، وطبعة المكتب الإسلامي، بيروت.

ـــ معـــارج الـــتفكر ودقائق التدبر: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

ـــ معجـــم المقاييس في اللغة : أحمد بن فارس، تحقيق شهاب الدين أبي عمرو، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٤م.

ـــ المفـــردات في غـــريب القـــرآن، الراغب الأصفهاني، ضبط: محمد عيتاني، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

ـــ المقدمة، ابن خلدون ، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

ـــ مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨ هـ)، نشرها قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة ١٣٩٧، القاهرة.

ــ المقدمــة في دســتور المعرفة والعلوم (فهم الإنسان)، عمران سميح نزال، دار القراء للنشر، عمان، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

ــ المكــي والمــدني في القرآن : عبد الرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ــ ١٩٩٩م.

ــ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية (١ــ٢) لعدة مؤلفين، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج.

ــ مــناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبدالعظيم الزرقاني، حققه د.بديع اللحام، دار قتيبة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

ــ الموافقــات في اصول الشريعة، الشاطبي : ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المتوفي سنة ٧٩٠ هـ، تحقيق محمد عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ.

ــ الموجــز في الناســخ والمنسوخ، لابن خزيمة : المظفر بن الحسين بن زيد بن علي بن خزيمة، مطبوع بعد كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن لأبي جعفر النحاس في مجلد واحد، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، بيروت.

ــ الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

ــ نصوص محققة في علوم القرآن الكريم، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، نشر جامعة بغداد.

ــ نظم الدرر في تناسق الآيات والسور، للبقاعي ، طبع التفسير بعناية عبد الرزاق غالب المهدي، نشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ.

ــ نقد الاستشراق : رضوان السيد ، مجلة الاجتهاد العددان (٥٠ و ٥١)، ٢٠٠٠م.

ــ الــنكت والعيون: لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي، تحقيق : خضر محمد خضر، الطبعة الأولى الكويت، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

ـــ نهاية السول فيما استدرك على الواحدي والسيوطي من أسباب النـــزول، د. أبو عمر نادي الأزهري، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٥م.

ـــ نواســـخ القرآن، ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ٥٩٧ هـ، تحقيـــق محمـــد الملـــباري، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

الفهـــــــرس